

الفصل الأول

المغاربة في القاهرة في العصر الفاطمي

- تعريف بالمغاربة وطوائفهم .
- هجرة المغاربة للقاهرة وإستقرارهم فيها .
- دور المغاربة في تأسيس القاهرة .
- خطط المغاربة في القاهرة .
- علاقة المغاربة بأجهزة الحكم والإدارة .

تعريف بالمغاربة :

ونحن بصدد دراسة المغاربة في القاهرة في العصر الفاطمي يتعين علينا إن تقدم بتعريف موجز عن أصل التسمية :

هو إسم مشتق من كلمة المغرب ، وهي تلك البلاد الواقعة غرب العالم الإسلامي الذين ملؤا البسائط والجبال ، وينقسم المغرب إلى ثلاثة أقسام وهي :

المغرب الأدنى . المغرب الأوسط . المغرب الأقصى .

١ . المغرب الأدنى : ويبدأ من برقه وطرابلس حتى إفريقية " تونس " .

٢ . المغرب الأوسط : ويضم الجزائر وجزء من مراکش .

٣ . المغرب الأقصى : يمتد من وادي قلاوية شرقاً وحتى المحيط الأطلسي .

وهذه التسمية أطلقها العرب على بلاد المغرب بعد أن فتحوا البلاد وهي تسمية تعنى البلاد التي تقع غرب حاضرة الخلافة الإسلامية .

لذلك أطلق على سكان هذه البلاد إسم المغاربة^(١) كذلك أطلق عليهم البربر^(٢) .

والبربر قسمان كبيران : هما البربر^(٣) البرانس والبربر البتر.

(١) ابن عذارى . المراكش . البيان . ج١ . ص ٥٠ . ط بوقسال سنة ١٩٤٩ .

(٢) البكري . المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب . ص ٢١ .

وعن أصل تسمية البربر يذكر أن إفريقيش بن قيس عنطأذهب إلى بلاد المغرب عن ذلك قال " ما أكثر بربرتكم "

فسموا بالبربر ، والبربر بلسان العرب هي إختلاط الأصوات " فغير لفهومه ومنه يقال " بربر الأسد إذا رأى "

بأصوات غير مفهومة " ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس . ص ٢٠٤ .

(٣) البربرية هي اللهجة التي يتكلم بها البربر خاصة في إفريقيا الشمالية ، أما الحضارة البربرية بما تتطوى عليه من

شعر ورسوم ونسيج وكتابات فالظاهر أنها كانت وعاء ويوثقه " إنصهوت فيها معطيات مختلفة تعاقبت عليها

وخاصة الحضارة العربية

أولاً : البربر البرانس :

أطلق هذا الإسم على البربر البرانس نسبة إلى برنس ولذلك يقال لشعبه البرانس ويجمع النسابون أن البرانس سبعة أقسام وهى : إزداجه ومصمودة وأوريه . وعجيه وكتامه . وصنهاجه . وأوريغه .

وسوف نقوم بدراسة وتعريف للبربر البرانس عن من كان منهم فى القاهرة الفاطمية وهم : كتامه . صمودة . صنهاجه . لواته . زناته .

١ . كتامه :

وهى طائفة من طوائف المغاربة والتى أشدهم قوة وبأساً أكثرهم سلطة وياً فى الملك ، وعند نسابه البربر ومنهم هانى بن بكور يذكر أن " البربر من ولد كتام بن برنس" (١) . ويطون كتامة كثيرة وعديدة ويجمعها غرسن ويسودة ، إبناً كتم بن برنس ، وموطن طائفه كتامه جبال أوراس فى إفريقية " تونس " .

وفى الحقيقة أن قبيلة كتامة لها أهميتها التاريخية بسبب الدور الكبير الذى لعبته فى قيام الدولة الفاطمية ، وأما عن أصل وديار (٢) قبيلة كتامة فهى فى أرياف "قسنطينه" وحتى تخوم " بجاية " فكانت ديارهم فى هذه المناطق مثل " إيكجايه" و "سطيف" ولكن بعد إنتقالهم إلى مصر بقيت لهم بقايا فى جبل أوراس وفى قلعتة وهضابه كذلك من كتامه من سكن فى المغرب الأقصى بناحية مراكش .

٢ . صنهاجه :

تعد صنهاجه من أكبر القبائل المغربية ، فلا يخلو قطر من أقطار المغرب من بطن من بطون صنهاجه ، بل زعم الكثير من النسابه ، أن صنهاجه تبلغ ثلث أمم البربر ، والموطن

(١) - إبن خلدون . العبر . ج ٦ . ص ٢٠٥

(٢) - سعد زغلول . تاريخ المغرب العربى . ص ٤١

الأصلى لقبيلة صنهاجه هو فيما بين المغرب الأوسط وأفريقية وعن أصل تسمية صنهاجه يرجع إلى صنهاج^(١) . ولذا أطلق على شعبه صنهاجه نسبة له ، ومساكن صنهاجه تمتد من السوس الأقصى إلى أغمات^(٢) . وفي الصحراء الغربية وحتى الجنوب كذلك عند جبل ورقة^(٣) . ومن صنهاجه يتفرغ منها بطون مثل بنى بشير وبنى بوزرة وبنى خنوس^(٤) .

٣ . المصامدة :

سموا بذلك نسبة إلى مصمود بن برنس بن بربر ، وقبيلة المصامدة المغربية تعد من أوفر القبائل المغربية عدداً ، وموطنهم في المغرب الأقصى منذ الأحقاب المتطاولة ومن بطون المصامدة " برغواطة " و"غمارة" وعن طبيعتهم يذكر بن خلدون وهو يقارن بين حياة أهل المغرب بصفة عامة الذين يعيشون في رغد من العيش وبين طائفة المصامدة المتقشفين في عيشتهم ويوضح أنهم أي المصامدة أحسن حالاً في عقولهم وأجسامهم^(٥) ، وكذلك من المعروف عن المصامدة أنهم أهل الجبال وهناك عدد منهم يسكن البساتط .

كان ماسبق عن البربر البرانس^(٦) . وقبائلهم وبعض عاداتهم^(٧) .

(١) - ابن خلدون : المقدمة . ص ١٣٤ .

(٢) - ابن خلكان : وفيات الأعيان . ج ١ . ص ٣٨٠ .

(٣) - ابن خلدون : المقدمة . ج ٦ . ص ١٧٥ .

(٤) - الموسوعة المغربية . ج ٤ . ص ٢٤٦ ، ص ٢٦٦ .

(٥) - ابن خلدون : العبر : ج ٦ . ص ١٧٤ . طبعة بيروت .

(٦) - كلمة البرانس بمعنى قبائل البرانس وأيضاً بمعنى جبال البرانس والتي يقول عنها العرب ويسمونها جبال البرتات وذكر أرسلان في كتابه الحلل السنسية أنها تسمى أيضاً الجبل الحاجز أو الفاصل - شكيب أرسلان : الحلل السنسية . ج ١ . ص ٣٦ .

(٧) - المغاربة بصفه عامه ليسوا بحريين ولا يهتمون كثيراً بفن الملاحة البحرية وأن وجد منهم الملاحين وإشتغلوا بها ولكن في فترات متقدمة خاصة عندما إتسع نطاق الملاحة البحرية في العصر الإسلامي : الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية . ج ٤ . ص ٢٠٢ تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية . المغرب .

ثانيا : البربر البتر :

لقد سمى بالبربر البتر نسبة إلى مادغيس الملقب بالأبتر لذلك يقال لشعبه البتر.

وكما سبق مع البربر البرانس سوف نخص الحديث بالبربر البتر المقيمين فى القاهرة الفاطمية . فكان من البربر البتر فى القاهرة الفاطمية طائفتان من طوائف المغاربة هما :
لواته وزناته .

١ . طائفة لواته المغربية :

لواته وهى إحدى قبائل المغرب وسميت بذلك نسبة إلى لوا بن زحيك بن ماوغيس الملقب بالأبتر أحد البرابرة البتر ومنه تشعبت بطونهم ومن لوا كانت لواته لأن المغاربة إذا أرادوا العموم فى الجمع أضاقوا الألف والتاء ، لكن العرب حولته وألحقوه هاء الجمع فكانت لواته ، ومن مواطنهم فى الأرض التى قرب تخوم وادى ميناى وتاهرت ، ومن بطون لواته المتعدده سوارته بن ليطط بن لوا (٢).

٢ . زناته :

وهى قبيلة مغربية من إحدى قبائل البربر البتر ومن جيران قبيل لواته المغربية والتى يفصل بينهما تخوم وادى ميناى وتاهرت . ومن زناته يتفرع منها عدة بطون مثل بنويزال (٣).

(١) - ابن خلدون : العبر . ج ٦ ص ١٧٦ .

- ابن خلكان : وفيات . ج ١ . ص ٢٨١ .

- سعدزغلول : تاريخ المغرب العربى . ص ٤٥ .

(٢) - ياقوت : معجم البلدان . ج ٢ . ص ١٠٥ .

- الوثائق المغربية . ج ١ ص ١٢٧ .

- وعن البربر تحدث المستشرق ميليس فقال " لا يكون لإتسان إعتبار فى العالم الإسلامى إلا بشرط إتقان اللغة

العربية التى تؤدى الضلعة فيها إلى أرقى المناصب " عن ذلك أنظر .

MILLET , LES ALMOOHADES , P43 -

- الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية . ج ٤ . ص ٢١٩ .

(٣) - بنويزال قبيلة بربرية كانت تعيش حثوى مسيلة بالزاب ولقد كانوا على خلاف مع الدولة الفاطمية ففروا إلى

الأندلس سنة - ٣٦٠هـ / سنة ٩٧١م .

- زورى . تاريخ مسلمى أسبانيا . ج ٢ ص ٢٠٢ .

" هجرة المغاربة للقاهرة "

كان قيام الدولة الفاطمية في مصر سنة ٣٥٨هـ . سنة ٩٦٩ م سببا في قدوم جماعات كبيرة من المغاربة إلى مصر في العصر الفاطمي .

بداية مع جيش الفتح الذي قاده جوهر الصقلى وحتى وصول آخر فوج من المغاربة للقاهرة في ذلك العصر .

وكان معظم المغاربة القادمين مع جيش الفتح بإختلاف طوائفهم من العسكر بين ، فكانت أعدادهم وفيرة بالضخامة التي حفلت بها العديد من كتب المؤرخين حيث توضح كثرة أعداد (١) عساكر المعز القادمة لمصر وقد وصفها المقرئى بقوله " مثل جمع عرفات كثرة وعدة - (٢) .

فكانت هذه الجموع تضم مائه ألف مقاتل كان عدد الكتاميين وحدهم عشرين ألف فارس وأربعين ألفاً من البربر وباقي الطوائف المغربية والجدير بالملاحظة أن كل تلك الجموع والحشود التي أعدت لفتح مصر قدمت في وقت كانت فيه ظروف مصر العسكرية والداخلية لا تتطلب كل هذه الأعداد ، ولكن من الواضح أنه كان هناك مغزى آخر لدى المعز من إرسال كل هذه الجموع إلى مصر ، ويدلنا على ذلك ما ذكره المعز نفسه عندما ألقى خطبته على رؤساء كتامه وشيوخها قبل رحيلهم إلى مصر بقوله " والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر " (٤) .

وهذه الخطبة تعد وثيقة تاريخية هامة فهي توضح نوايا وأهداف المعز لدين الله

(١) - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ / عماد الدين أبو الفدا القرشى ج ١١ .

(٢) - المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٧٣ . أيضاً أنظر ابن زولاقي .

(٣) - القاضى النعمان ، المجالس والمسائرات . مجلد ٢ . ج ١ . ص ٤٠٣ .

(٤) - المقرئى : إعطاء الحيفا . ص ١٦٢ .

الفاطمي ، من إرسال كل هذه الأعداد من المغاربة أعوان الفاطميين ومؤسسي دولتهم ، فكان هدف المعز من ذلك هو إرسالهم للعمل على توطيد النفوذ الفاطمي في مصر ، فإذا كان جوهر وجيشه يمثلون الجانب العسكري والأمني للدولة الفاطمية فإن باقي المغاربة هم عصبية ورجال دولته ويهجرتهم هذه يستطيع المعز لدين الله أن يوطد شعائر المذهب الشيعي الفاطمي في مصر عن طريق إستقرارهم فيها وإندماجهم مع المصريين.

واقدم إتخذ الفاطميون من المغاربة وخاصة طائفة كتامة عصبية لهم لتحقيق أهدافهم، وكما ذكر ابن خلدون "..... إن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية" (١).

ويستخلص من النص ما يتفق مع حال الفاطميين إذ كانت سياستهم الإعتماد على عصبيتهم ، فلقد عمل الفاطميون على تكوين عصبية لهم من غير ذى رابطة دم تجمعهم ، فكان إختيارهم للمغاربة بصفه عامه ولكتاميين بصفه خاصه حيث كانوا أساس دولة الفاطميين والمتممين للكهم.

الهجرات المغربية للقاهرة في العصر الفاطمي :

يمكن توزيع هجرة المغاربة للقاهرة إلى مرحلتين ، نطلق عليها للتمييز :

المرحلة الأولى : هجرة المغاربة للقاهرة قبل قنوم المعز .

المرحلة الثانية : هجرة المغاربة للقاهرة بعد قنوم المعز لسنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣ م

وراعينا في ذلك الترتيب الزمني المثبت في المصادر التاريخية :

أولا : هجرة المغاربة للقاهرة قبل قنوم المعز لدين الله إلى مصر :

١ . كانت أولى هذه الهجرات تلك الأعداد الوفيرة التي قدمت مع جيش الفتح

بصحبة جوهر الصقلی ، ومن المعروف أن تلك الأعداد الوفيرة (٢) من المغاربة التي قدمت

(١) ابن خلدون : العبر . ج ٦ . ص ١٧٦

(٢) ابن خلدون : المقدمة . المجلد الأول . ص ٣٣٥ .

لم تكن هجرة مباشرة للقاهرة فلم تكن قد أنشأت بعد ولكن سكنوها بعد ذلك ، هذا بالإضافة إذا ما وضعنا في الاعتبار أنهم شاركوا في تأسيس القاهرة كما سيتضح وإشتملت هذه الهجرة المغربية على العديد من طوائف المغاربة مثل الكتاميين (١) وهم الكثرة وكذلك قبيلة صنهاجه وزويله والمصامدة والباطلية (٢).

٢ . كان قدوم أعداد كبيرة من المغاربة إلى مصر مع جيش الفتح دافعاً لتلاحق العديد من المغاربة إلى القاهرة وكانت هجرتهم مع جيش الفتح بمثابة إشارة البدء لتيار متلاحق من الهجرات المغربية للقاهرة في العصر الفاطمي .

فكانت هناك هجرة مغربية في نفس عام الفتح في سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩ م ألحقها هجرة أخرى في شهر صفر من نفس العام .

٣ . في سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م قدمت جماعات مغربية للقاهرة قادمين بصحبتهم هدية من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى قائده جوهر .

٤ . ثم كانت هجرة مغربية أخرى للقاهرة مع قدوم المعز لدين الله في شهر رمضان سنة ٣٦٢هـ . ٩٧٣م فقد قدم المعز وبصحبته من المغاربة أمراته ودمعاته وكبار رجال دولته وكذلك كان بصحبته القاضي النعمان بن حيون وأولاده (٣).

(١) - ابن حوقل : صورة الأرض . ص ٨٦ .

(٢) - ناصرخسرو : سفرنامه . ص ٩٩ وقد أشار ناصر خسرو في كتابه عن طائفة الباطلية بـ "البطليان" وعن أصل تسمية الباطلية يذكر أن جماعة من المغاربة جاءت إلى المعز تطلب مالا فذكر لهم حاجب المعز بأن فرغ المال أو ما عندنا لتعطيكم فقالت جماعة المغاربة إذن نحن على باطل قسموا بالباطلية . ناصر خسرو . سفرنامه .

(٣) - الداعي الفاطمي إدريس عماد الدين : عيون الأخبار . ص ١٨٥ .

الهجرات المغربية إلى القاهرة بعد قدوم المعز:

١ . وفدت دفعة أخرى من المغاربة للقاهرة وعنها يقول الداعي الفاطمي ادريس عماد الدين « ووافى أيضاً بعد ذلك عسكر من المغرب معهم أجوال محمله على الجمال » (١) قادمين للقاهرة عقب قدوم المعز لمصر سنة ٣٦٢هـ ، ٩٧٣ م .

٢ . هجرة قبيلة كتامة الثانية فقد كانت هجرة أولى مع جيش الفتح والثانية كانت عند قدوم الخليفة العزيز بالله ، ومن الثابت أن هجرات الكتاميين للقاهرة لم تنقطع بل إستمرت حتى بعد وصول جماعة منهم مع العزيز بالله .

وفى الحقيقة لم يرد المزيد عن الهجرات المغربية للقاهرة الفاطمية فى المصادر التاريخية الأصلية فى حين تعددت المصادر فى ذكر أخبار المغاربة فى ذلك العصر وهجرتهم إلى صعيد مصر وغيرها من البلاد دون توضيح كاف للقاهرة يفيدنا فى هذا الجانب .

فكان الحديث على شكل أقوال متفرقة عن هجرة المغاربة للقاهرة مثل ما ذكر المقرئى بقوله " إن سعادة بن حيان المغربى قدم للقاهرة فى سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٤ م ومعه جماعة من المغاربة (٢) .

وعلى كل فنحن نود أن نلقى نظرة سريعة على دوافع هجرة المغاربة للقاهرة فى العصر الفاطمى (٣) . فمن المؤكد أنه كانت هناك العديد من الدوافع وراء هذه الهجرة المغربية فمنها السياسى والإقتصادى والمذهبى بل والشخصى وربما إجتمعت كل هذه العوامل لتكون دافعا قويا للهجرة المغربية للقاهرة كذلك وضعنا فى الإعتبار عند دراسة دوافع وأسباب هذه الهجرة أننا بصدد دوافع نابغة من أفراد وليس حكام .

(١) - إدريس عماد الدين : عيون الأخبار . ج ١ ص ١٦٤ .

(٢) - المقرئى : الخطط . ج ١ . ص ٣٨٢ .

(٣) . ينتسب الفاطميون إلى فاطمة الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم وزوج على بن أبى طالب ومن اسمها - اتخذوا لقبهم وهم شيعة علويون ، وعن صحة نسبهم هناك شك كبير بين كثير من المؤرخين ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، ج ٢ ص ٥٣٦ .

وسنوضح أسباب هجرات المغاربة إلى مصر :

عند الحديث عن أسباب هجرة المغاربة الذين قدموا إلى مصر مع جيش الفتح فمن الصعب تحديد السبب الإقتصادي لهجرتهم لأننا نتحدث عن أمراء ومشايخ وكبار رجال الدول الفاطمية .

فمن المؤكد أن هناك عوامل أخرى حثتهم على الهجرة إلى مصر وذلك لاينفى أن للمغاربة بل وللفاطميين أطماعهم الإقتصادية^(١)، عندما رأوا أن بلاد المغرب لاتصلح أن تكون مركزاً لدولتهم ، فضلاً على ضعف مواردها كان يسودها الإضطراب من حين لآخر ، لذلك إتجهت أنظارهم إلى مصر لوفرة ثروتها وقربها من بلاد المشرق وهو الأمر الذى جعل مصر صالحة لإقامة بولة لها كيائها، لتنافس أعداء الفاطميين ألا وهم العباسيون فإذا كان ذلك عن الجانب الإقتصادي وما لمصر من خيرات وثروات فكانت أيضاً أرضاً خصباً لإحتضان العديد من الهجرات المغربية، كما كانت أسواق القاهرة وخيراتها من جملة العوامل وراء الهجرات المغربية المتلاحقة بعد فتح مصر فمن المعروف عن أهل المغرب أنهم أهل تجارة فكانت القاهرة وقربها من طرق التجارة مع المشرق وخروج القوافل التجارية منها وإليها كذلك قوافل الحجاج جعل للقاهرة بل ولمصر أهمية خاصة لايمتنع به موقع المغرب لذلك حرصت الكثير من الطوائف المغربية على الهجرة إلى القاهرة فى العصر الفاطمى .

* وكذلك كان هناك سبباً مذهبياً لهجرة أعداد مغربية للقاهرة فكان منهم الدعاء للمذهب الشيعى الفاطمى الذين حرصوا على نشره فكان وجودهم فى القاهرة يخدم غايتهم خاصة عن طريق الجامع الأزهر ، وقرب القاهرة من المشرق الإسلامى يجعلهم قادرين على تنفيذ ونشر مذهبهم وسهولة إتصالهم بقيادات المذهب الشيعى فى باقى البلاد مثل اليمن^(٢) وأغربها من البلاد التى تعتنق المذهب الشيعى الفاطمى .

(١) - المقرئى . خطط . ص ٢ ص ٢٤٠

المقرئى . إتماظ . ص ١٧

(٢) - السجلات المستنصرية . وثيقة السيدة الحرة الصليجية .

"طور المغاربة فتح تأسيس القاهرة"

كان على الفاطميين أن يتمموا نجاحهم في فتح مصر بإختيار موقع يقيموا على دعائم سلطانهم بمصر ويجب ألا تغفل براعة المغاربة أتباع الفاطميين في تنفيذ مخططات الخليفة المعز لدين الله ، على نحو يدعو للإعجاب ، فكان هذا بدءاً لعصر جديد شهدت مصر فيه تغلغلاً مغربياً في شتى نواحي ، ذلك أن المغاربة كانوا يشكلون قوام الوجود الفاطمي في مصر في ذلك العصر وحرص الفاطميين على إقامة خلافة فاطمية بمصر حرص القائد جوهر ومعه أمراء ومشايخ كتامه منذ اليوم الأول على إختيار حاضرة جديدة بمصر للخلافة الفاطمية، ذلك لأنه من البديهي أن تكون حاضرة الفاطميين بعيدة عن حواضر من سبقوهم^(١). وحتى لا يزاحموا أهل البلاد في الفسطاط التي إنزحمت بأهلها .

كذلك ليس من الحكمة أن يضيق الفاطميين على أهل البلاد المصريين السنين في مدينتهم ، فكان من الضروري إقامة حاضرة جديدة للدولة القائمة الجديدة . وكما يشير ابن خلدون في مقدمته بقوله " إعلم أن المدن قرار تتخذها الأمم عند حصول الغاية المطلوبه^(٢). وقوله " إن الدول المتجدده إذا غلبت على الدوله السابقه لايد فيها من تتبع أهل السابقه ... وتحويل مركز الدوله الجديدة إلى مدينة جديدة^(٣)..

وبما أن غاية الفاطميين قد تحققت وبخلوا مصر بخول الفاتحين رغم إنعدام المقاومة إلى حد كبير ، فكانت الخطوه التاليه هي إختيار الحاضره الجديده والشروع في تأسيسها .

فكان إختيار موضع القاهره والبدء في التنفيذ لإتمام البناء عمل قام به جوهر الصقلي قائد الخليفه الفاطمي وشارك في هذا الإختيار والعمل قادة ومشايخ المغاربة الكتاميين^(٤)، بل إمتدت إلى عملية المشاركة في التنفيذ .

-
- (١) - كانت هناك ثلاثة حواضر لمصر قبل قدوم الفاطميين وتأسيس القاهره فالفسطاط هي أول مدن مصر الإسلاميه التي بناها عمر بن العاص ثم كانت العسكر ثم القطنع التي شيدها أحمد بن طولون ، وأخرا حواضر مصر الإسلاميه وحاضرة الخلافة الفاطمية وهي القاهره.
- (٢) - ابن خلدون . المقدمة . المجلد الأول . ص - ٣٤.
- (٣) - نفس المصدر والجزء .

وكما قال المعز لدين الله " ولينزلان في خرابات ابن طولون وليبنى مدينه تسمى القاهره ، تقهر الدنيا " (١).

ولقد وضع أساس بناء القاهرة في ليلة ١٧ من شهر شعبان سنة ٣٥٨ هـ . سنة ٩٦٩ م ، وفي بداية مدينة القاهرة أطلق عليها اسم " المنصورية " تقرباً منه للخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، لكن عند قدوم المعز أطلق عليها اسم القاهرة ، وفي الحقيقة كانت القاهرة المعزية في بداية إنشائها ويقدم المعز بمثابة مدينة ملكية (٢) إقتصرت على الخليفة ورجاله وأمرائه المقربين من المغاربة ، وأعتبرت حواضر مصر السابقة وهي :

الفسطاط والعسكر والقطائع بمثابة المدينة العامه التي تتسع لأهل البلاد . وبالإضافة إلى دور المغاربة في فتح مصر الفاطمي ، كان دورهم البارز في إختيار وقع القاهرة مشاركة مع القائد جوهر (٣) فقد كانوا جميعا فريق عمل متكامل يجمعهم الهدف والقائد وهو الخليفة المعز لدين الله .

فيقول المقرئزي "إن مشايخ كتامه ذهبوامع جوهر لفتح مصر وتأسيس القاهرة" (٤) والذي نود القاء الضوء عليه هو دور المغاربة خاصة طائفة كتامه منهم في هذا العمل الكبير

(١) - المقرئزي : إتعاظ الحنفا . ص ١٦٣ .

. وعن أصل تسمية القاهرة تعددت الروايات ومنها رغبة المعز من هذه التسمية في أن تكون مدينة تقهر أعدائهم العباسيين وقيل القاهرة لانها تقهر من شذ منها وحاول الخروج على أميرها وكذلك يقال أنها سميت القاهرة نسبة إلى زمن بناء المدينة الجديدة وكوكب المريخ وولادة القاهرة عن ذلك أنظر . أبو المحاسن . النجوم الزاهرة . ص ٢٠ ، حسن ابراهيم : تاريخ الدول الفاطمية . ص ١٥٢ .

(٢) - محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية . ص ٨١ .

(٣) - جوهر الصقلی هو قائد ومولى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وقائد جيشه لفتح مصر وكان جوهر هو يعتبر المنفذ الأول للسياسة الفاطمية التي كانت ترمي إلى إتخاذ مصر مركزاً للدولة الفاطمية ولقرب مصر من المشرق الإسلامي لنشر المذهب الشيعي الفاطمي كما أن جوهر حكم مصر بنفسه لمدة أربعة سنوات من سنة ٣٥٨ هـ . ٩٦٩ م وحتى قدوم المعز سنة ٣٦٢ هـ . ٩٧٣ م تمكن خلال هذه السنوات الإربع من إلغاء الخطبة للعباسية وإقامتها للخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، ومنع ليس السراء شعار العباسية وتقرير إرتداء الملابس البيضاء ، شعار العلويين وبث المذهب الشيعي ، وكانت إمارة فاطمية في عهد جوهر الصقلی ويقدم المعز أصبحت دار خلافه : المقرئزي إتعاظ الحنفا : ص ٧٢ / ابن خلكان : وفيات جا . ص ١٢١ .

(٤) المقرئزي : إتعاظ : ص ٧٩ .

من حيث المشاركة فى إختيار موقع وتأسيس مدينة القاهرة خاصة وأن هذا الدور عمل يستحق التقدير، إستمر حتى يومنا هذا فما أجل من عظم هذا الدور .

وتأكيداً لدور المغاربة فى تأسيس القاهرة ما ذكره المعز عن المغاربة بقوله " هم خاصتنا بون الخاصه وأحب الينامن الأهل والقرا به . . والله ليسبقن من تقدمهم وليسبقن من تأخرهم، فبارك الله فيهم وأحسن جزاءهم وأنتم والله عدتنا ونخيرتنا لما نحتاج إليه وكنزنا الذى نعول عليه " (١)

وعن تأسيس القاهرة هناك ما هو الجدير بالملاحظة ذلك ما قد وجد من مسكوكات بتاريخ سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٧م فكان تاريخ الضرب للدينار المعزى هذا قيل فتح مصر (٢) بعامين حيث تم ذلك سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩م والمدهش أيضاً أن هذا الدينار يشير إلى مدينة القاهرة المعزية قبل بنائها ولعل هذه الدنانير ضربت من ضمن وسائل الدعاية الفاطمية لتعبئة النفوس والأذهان ممهدين بذلك للفتح الفاطمى لمصر ، وأياً كان الأمر فهذا إن دل على شئ يدل على إصرار واضح من قبل الفاطميين على إستقرارهم بمصرهم وأعاونهم من المغاربة وبناء مدينة (٣) تكون مركزاً للدولة الفاطمية .

(١) - مایسة محمرد دارد : المسكوكات الفاطمية . ص ٤٥ .

(٢) - القاضى النعمان : المجالس والمسایرات . ص ٢١٩ .

(٣) - على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة - ١ . ص ٤٥ .

"موقع القاهرة عند تأسيسها" :

عندما دخل جوهر الى مصر سنة ٢٥٨هـ / ٩٦٩م عسكر بجيشه فى مكان على شكل سهل رملى فسيح ويبعد عن النيل بمقدار ليس بالبعيد فهو يقدر بحوالى ميل فى (١) ذلك الوقت قبل أن يغير النيل مجراه ، ويقع فى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط وكان ذلك المكان رملة خاوية يمر بها الناس فيما بين الفسطاط وعين شمس وكان ذلك المكان رملة خاوية يمر بها الناس فيما بين الفسطاط وعين شمس وفى نفس يوم الفتح فى يوم الثلاثاء السابع عشر من شعبان سنة ٢٥٨هـ / ٩٦٩م وضع أساس مدينة القاهرة فى ذلك المكان فيما بين خليج أمير المؤمنين المعروف فى زمن المقرئى بـخليج القاهرة أو الخليج الحاكمى وبين اليحامييم وهو الجبل الأحمر وكان يتوسط ذلك المكان فيما بين الخليج ومدينة القاهرة قرية يقال لها «أم ننين» والتي عرفت فيما بعد فى العصر الفاطمى بالمقس (٢) أما عن الرملة نفسها فكانت أرض فضاء ليس بها بنيان سوى بستان الإخشيد المعروف ببستان الكافورى ودير النصارى يعرف هذا الدير بدير العظام (٣) ولم يبق منه سوى بئر هذا الدير والعمامة تقول له بئر العظمة ، كما كان بهذه الرملة قبل بناء القاهرة قصر يقال له قصر الشوك بصيغة التصغير ومكان النيل حينئذ بشاطئ المقس ماراً بالخليج الكبير ، وعند بناء المدينة الجديدة " القاهرة " ثم بناء قصر الخليفة وهو القصر الغربى الكبير ثم كان هناك القصر الشرقى الصغير ثم تم عمل خندق (٤) للقاهرة من الجهة الشمالية ليمنع عن المدينة أى هجوم تتعرض له وكذلك تم بناء سور يحيط بالقاهرة ويحدها من الجهات الأربع فمن الشمال باب النصر وباب الفتوح ومن الجنوب بابى زويلة (٥) ومن الشرق باب البرقية وباب المحروق وهذان البابين مشرفان على جبل المقطم ومكانها فى الوقت الحاضر

(١) - المقرئى : الخطط . ج٢ . ص ٣٥٩ ، على مبارك / الخطط التوفيقية ج١ ص ٤٦ - ٤٧ .

(٢) - مكان لجمع الضرائب أو المكوس فيسمى المكس ثم تحول إلى المقس .

(٣) - عن هذا الدير يزعم النصارى أن فيه بعض من أدرك المسيح عليه السلام . المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) - المقرئى : الخطط . ج٢ . ص ٣٦٢ .

(٥) - عندما تقلد أمير الجيوش بدر الجمالى الوزارة زمن المستنصر أعاد بناء سور القاهرة ونقل باب البحر الذى بناه جوهر إلى المكان الذى يوجد زمن المقرئى ، وفى سنة ٤٨٤ هـ بنى بدر الجمالى باب زويلة الكبير أنظر المقرئى .

الدراسة ، ومايين هذين البابين يقال له بين السورين أما من الغرب فيقع باب سعادة^(١) وباب الفرج ، ويذكر المقرئى أن لسور القاهرة من الجهة الغربية باب ثالث يسمى باب الخوخة^(٢) لعله أنشأ بعد جوهر.

ولما كان لزاماً على جوهر وأمراء المغاربة الكتاميين المنفذين^(٣) السياسة الخليفة الفاطمى أن يؤسسوا مدينة لتكون مركزاً للخليفة كذلك يجب عليهم أن يتمموا الإطار النهائى لإتمام عمران هذه المدينة فكان بناء الجامع الأزهر ، ولقد تم الإنتهاء من تشييد بناء الأزهر بعد عامين من بدء البناء فيه تقريباً.

وفى الحقيقة كان هناك مغزى من بناء الأزهر فى القاهرة فقد كان الهدف أنه ليس من الحكمة أن يفاجئوا أهل البلاد المصريين السنين فى مساجدهم^(٤) ، بشعائر المذهب الشيعى الفاطمى خشية إثارة أهل البلاد ، خاصة وأن جامع عمر بن العاص يعد فى ذلك الوقت منارة لدعائم الإسلام على المذهب السننى فهو أول مسجد جامع فى مصر ومن خلاله إمتد الفتح الإسلامى وبناء المساجد فى بلاد المغرب بذلك يكون أول مسجد فى القارة الإفريقية ، فكان من الصعب بل من المستحيل إقامة شعائر المذهب الشيعى داخلة أو فى مدينة القسطنطينية لذلك كانت هناك ضرورة لبناء الجامع الأزهر بالقاهرة ، ومن ناحية أخرى فإن بناء الأزهر داخل حاضرة الخلافة الفاطمية هذا يجعل مهمه وهدف الفاطميين يتحقق حرصاً منهم على نشر مذهبهم الشيعى الفاطمى فى مصر من خلال الجامع الأزهر. ولكن

(١) سُمى ذلك نسبة إلى سعادة بن حيان المغربى غلام المعز وذلك عندما دخل سعادة للقاهرة من هذا الباب سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م فعرف به ، المقرئى : الخطط . ج٢ . ص ٣٩٣ . وموقع باب سعادة هو شارع بور سعيد الآن .

(٢) باب الخوخة : وهو باب صغير فى بوابة كبيرة لسور حصين ويجعل للإستخدام اليومى فلا تكن الحاجة إلى فتح البوابة الكبرى إلا عند الضرورة . عن ذلك أنظر . المقرئى . السلوك . ١/٢ .

(٣) - المقرئى . الخطط . ج٢ . ص ٢٧٣ .

(٤) - من المعروف أنه كان يوجد قبيل قدوم الفاطميين إلى مصر ثلاثة مساجد جامع وهى الجامع العتيق وهو جامع عمرو بن العاص سنة ٢١هـ / ٦٤١م فى القسطنطينية ثم جامع العسكر الذى بناه والى مصر عبدالله بن صالح سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م ثم وجامع أحمد بن طولون سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩م .

المذهب السني كان متصلاً في دماء المصريين بدليل زوال المذهب الشيعي في مصر بزوال الخلافة الفاطمية .

لذلك شرع جوهر ومن معه من قادة ومشايخ من المغاربة الكتاميين في بناء الأزهر في الرابع من شهر رمضان سنة ٣٥٩هـ - ٧٩٠م .

- وأقيمت فيه الصلاة لأول مره في السابع من شهر رمضان سنة ٣٦١هـ - ٩٧٢م :
وأطلق عليه في بادئ الأمر جامع القاهرة (١) ثم بعد ذلك أطلق عليه الفاطميون جامع الأزهر (٢) ليصبح أول مسجد جامع شيد في القاهرة المعزية ، بل وأشهر مسجد جامع في العالم الإسلامي ومدرسة إسلامية (٣) تُدرس فيها العلوم العقلية والدينية ليقصده الطلاب.

(١) - عرف الجامع الأزهر زمن المقرئزي بالإسمين جامع الأزهر وجامع القاهرة وسمى بالأزهر تقريباً من الفاطميين إلى السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وتأكيداً لتبنيهم إلى آل البيت النبوي الكريم .

(٢) - المقرئزي : الخطط . ج٢ . ص ١١٥ .

(٣) - نفس المصدر والجزء . ص ٢٧٣ .

- ابرو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٤ ص ٣٦ .

نظم بناء الأزهر :

يشتمل بناء الأزهر على مكان مسقوف للصلاة وهو المقصورة وهناك مكان آخر غير مسقوف يسمى بالصحن ، ولقد أقام به جوهر مقصورة (١) كبيرة بها ستة وسبعون عموداً من الرخام الأبيض صقوفاً متحاذيه ، أما صحن الجامع فهو مكان متسع يجلس فيه الطلاب في الشتاء للتدفئة بحرارة الشمس ، أما في الصيف يجلسون بداخله عند إشتداد الحرارة وكذلك يصلون في الصحن غير مسقوف عند إزدحام المقصورتين بالمصلين في وقت الأعياد ونجد على حوائط المسجد آيات قرآنية منقوشة بخط كوفى جميل وكان بالأزهر زمن المعز محراباً بالمقصورة القديمة ثم أقيمت تسعة محارب ، لم يبق منها سوى ستة محارب أشهرهم محرابان إحداهما بالمقصورة القديمة والآخر بالمقصورة الجديدة وعن موقع الجامع الأزهر فهو في وسط القاهرة الفاطمية (٢).

ولجامع الأزهر منبر واحد مصنوع من الخشب المخروط ، جميل الصنع (٣) كما أن للجامع خطيب خاص به يخطب في الناس يوم الجمعة عند الصلاة وفي أيام الأعياد ، حيث تنار منارات الأزهر وتزين حتى أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بنى بقصره قنطرة تسمى قنطرة الجامع الأزهر ، ليجلس فيها ويشاهد الزينات على المنارات في المواسم والأعياد ، فكانت منارات الجامع الأزهر تشع نوراً (٤) وبهاء عقب غروب الشمس وسيأتى نكر ذلك بالتفصيل في الجزء الخاص بالمواسم والأعياد في الفصول القادمة .

وتؤكد المصادر التاريخية أن الخليفة العزيز بالله الفاطمي هو أول من حول الأزهر من

(١) - المقرئى : المخطوط . ج ١ . ص ٣٦٢ .

(٢) - نفس المصدر والجزء .

(٣) - لكن هنا المنبر إنتقل زمن الحاكم بأمر الله إلى جامع الحاكم وبدل الأزهر بآخره . أنظر المقرئى المخطوط . ج ١ . ص ٤٦٢ ، ص ٤٦٥ .

(٤) . سعد زغلول : القاهرة فى ألف عام . على إبراهيم حسن " تاريخ جوهر الصقلى . ص ١٠١ - ١٠٣ .

كونه مسجداً تقام فيه الصلاة فقط إلى جامعة تدرس فيها العلوم (١) كما أن العزيز بالله كان أول من أجرى الأرزاق على طلاب العلم في الأزهر فكانت الدراسة بآدى الأمر غير محددة بمدة زمنية وكان ذلك لايحث الطلاب على الإلتزام بالتفوق فى علومهم مادامت الأرزاق جارية إلى أن تحددت الفترة الزمنية للإنتهاء من الدراسة بالأزهر فى كل مرحلة من المراحل.

وكان بالأزهر فى العصر الفاطمى أروقه لكل جالية من الجاليات أو الأجناس المقيمة بالقاهرة ، فكان هناك رواق المغاربة للمغاربة ورواق الديلم وهكذا وكان أول ما درس فى الأزهر تعاليم المذهب الشيعى الفاطمى ثم بعد ذلك باقى العلوم الدينية والعقلية ولقد قدم الأزهر ولايزال يقدم خدمات جليلة للعلم وللعالَم الإسلامى كله ، وكان لوجود الأزهر فضل فى العديد من الأمور منها إستخدام اللغة العربية الصحيحة فى الخطابة والكتابة .

وكان من رسوم الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى أن قاضى القضاة يتولى أحباسه (٢) التى كان لها ديوان خاص وهذا دور آخر تقام به المغاربة فى الأزهر من حيث توليهم لمنصب القضاء وبالتالي تولى أحباس الجامع الأزهر وهذا شرف إختصوا به لفترات طويلة ، مثال أبى حنيفه النعمان بن حيون وأولاده وغيرهم من المغاربة . فقد جرت العادة فى القاهرة الفاطمية أنه قبل حلول شهر رمضان بثلاث أيام يطوف القضاء على المساجد بالقاهرة ليتفقدوا قناديلها وزينتها لتكون جميع المساجد وأولها الجامع الأزهر على تمام الإستعداد لإستقبال الشهر الكريم (٣) نظراً لأن الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى كان يمثل السيادة الفاطمية فى مصر (٤) على المذهب الشيعى ونحن لانود أن نتطرق إلى دراسة مدى نجاح الأزهر زمن الفاطميين فى المهمة التى تم بناؤه من أجلها من حيث إرساء دعائم المذهب الشيعى فى مصر فذلك قد سبقنا إليه العديد من المؤرخين والمتخصصين فى ذلك

(١) - المقرئى : الخطط . ج١ . ص ٤٦١ .

(٢) - على مبارك : الخطط التوفيقية . ج١ . ص ٤٧ .

(٣) - المقرئى : الخطط . ج٢ . ص ٤٦ .

(٤) - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة . ج٣ . ص ٣٦٣ .

وكل مانود الإشارة إليه هو مدى التوفيق من جانب الفاطميين ورجال دولتهم من المغاربة الذين شاركوا جوهر في إختيار موقع الأزهر^(١) ونشر دعائم المذهب الشيعي الفاطمي عن طريق الدعاة المغاربة للمذهب الفاطمي داخل الأزهر.

وكان موقع الأزهر الذي يتوسط الحاضرة الفاطمية وهي القاهرة له عظيم الأثر في إنجاح نور الأزهر^(٢) في العصر الفاطمي ، كذلك فإن توسطه للقاهرة جعل من السهل الوصول إليه وهذا يدل على توجيه تخطيط شوارع القاهرة^(٣) أو حارتها إلى الأزهر توجيهاً رئيسياً لما تقتضيه الأهمية الدينية والسياسية للأزهر ومجاورته وقربه من مقر الخلافة الفاطمية . وهكذا بعد إتمام بناء القاهرة المعزية وحفر خندقها وإحاطتها من الجهات الأربع بسور حصين يمنع خطر المعتدين وإكتمال بناء الأزهر فكل هذه أمور ومهام شارك فيها المغاربة خاصة الكتاميين ولاشك من أنها مهام عظيمه قاموا بها تحت قيادة جوهر الصقلی وفي بعض الأحيان مشاركين له بالمشورة والعمل^(٤) لتكون القاهرة على تمام الإستعداد لإستقبال الخليفة المعز لدين الله لإسقراره القاهرة هو ورجال دولته من المغاربة .

(١) - نفس المصدر السابق .

(٢) - المقریزی : الخطط . ج٢ . ص ٤٦٢ .

(٣) - محمد عبد الستار عثمان . المدينة الإسلامية . ص ١١٣ .

(٤) الفلتشندی : صبح الأعشى . ج ٤ ص ٤٧٠ ، أبو المحاسن النجوم . المصدر السابق نفس الصفحة .

خطط المغاربة فى القاهرة

تعريف بكلمة خطط :

كلمة خطط مفردتها خطة ، وهى الأرض التى ينزلها الإنسان ولم يسبقه إليها غيره
فهى ما يختصه الإنسان لنفسه من الأرض فيجعل لها حدوداً ليعلم أنها له (١) .

ثم إتسع نطاق هذا المعنى ، فإ شتمل على الحى الذى تختطه قبيلة أو طائفة من
الناس عند تميمير مدينة من المدن . إذن كلمه خطط دليل على إستحداث أو بناء جديد لمدينة
أو أحياء لم تكن قائمة من قبل .

وخطط المغاربة فى القاهرة هى تلك الأحياء أو الحارات التى سكنها المغاربة والتى
عرفت بأسماء من سكنوها ، وبدراسة ومقارنه العديد من كتب المؤرخين وجدنا تبايناً
وإختلاف فى تحديد الزمن لإقامة المغاربة بإختلاف طوائفهم داخل القاهرة وسكنهم
لحاراتهم (٢) فيها .

وسوف نتطرق إلى هذا الموضوع قبل الخوض فى دراسة حارات المغاربة فهناك
العديد من الأقوال فيما يختص زمن سكن المغاربة لحاراتهم فى القاهرة منها قول أبو
المحاسن « دخل جوهر القائد بعسكر عظيم ... فلما إنتظم حالة وملك مصر ضاقت بالجند
والرعيه فأختط القاهرة » (٣) ثم قول ناصر خسرو:

« ويقع قصر السلطان الفاطمى وسط القاهرة ... بحرسه ألف رجل خمسمائة راجل
وخمسمائة فارس يدقون الطبول وينفخون فى البوق وقت صلاة المغرب ... » (٤) ثم يعلق
ناصر خسرو على نصه قائلاً " لعل هذه للتببيه على المغاربة بإلتزامهم بخططهم داخل
القاهرة، ثم قول ابن ميسر " ... وتبسطت المغاربة فى نواحي القرافه والمغافره (٥) ونزلوا فى

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة - ٤٤ - ص ٤٠ .

(٢) الحارات كل محله دنت منازلها والمحله منزل القوم ، الميرزى إتماظ الخنقا ص ٩٨ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة - ٤٤ - ص ٤١ .

(٤) ناصر خسرو : سفرنامه - ص ١٠٧ .

(٥) المغافره : هى المقابر. المصدر السابق .

الدور وأخرجوا الناس من دورهم ونقلوا السكان وشروعوا فى السكن فى المدينة ، وكان المعز قد أمرهم أن يسكنوا أطراف المدينة ، فخرج الناس واستغاثوا إلى المعز ، فأمر أن يسكنوا نواحي عين شمس وركب المعز بنفسه حتى شاهد المواضع التى ينزلون فيها ^(١) .

ورغم تعدد النصوص السابقة فمن الواضح أن المغاربة لم يسكنوا القاهرة بشكل كامل لجميع طوائف المغاربة مرة واحدة ولكن على مراحل وبالتدريج .

فكان قادة المغاربة وأمراؤهم من كتامه وغيرها من باقى طوائف المغاربة هم من أوائل من سكن القاهرة فور تأسيسها فكانت القاهرة كما سبق وأشرنا عند بداية تأسيسها وكأنها مدينة ملكية ^(٢) وكان قادة المغاربة يقيمون فيها فى أماكن على هيئة أحياء خاصة بالجيش ^(٣) .

بمعنى أن أمراء المغاربة وباقى الجيش الفاطمى هم الذين سكنوا القاهرة فور تأسيسها بل وفى أثناء التأسيس ، عندما عسكر جوهر الصقلى بالجيش الفاطمى فى تلك الرحبة الفضاء التى أصبحت القاهرة المعزية فيما بعد ، ولقد سكنت كل طائفة من طوائف الجند المغاربة بإختلاف مراتبهم فى حارات عرفت بهم والتى سكنوها هم وأسرههم ، وبهذه الحارات دكاكين وأسواق داخل القاهرة ^(٤) وظلت القاهرة على ذلك الحال حتى قدم المعز إلى مصر سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م وفى ذلك الوقت كان يسكن القاهرة القادة ^(٥) والأمراء المغاربة وعلى رأسهم القادة والأمراء الكتاميون كذلك وفى مقدمة كل هؤلاء الخليفة المعز لدين الله

(١) ابن ميسر : أخبار مصر . ص ١٠٠ .

(٢) محمدعبد الستار عثمان - المدينة الإسلامية . ص ٨٠ .

(٣) يتألف الجيش الفاطمى من الأمراء وهم القادة من المغاربة ثم طوائف الجند ، ويتميز الأمراء فيما بينهم بعلامات فى الأعياد والمواكب الرسمية كل حسب مرتبته ، فالأمراء الكبار يحملون جول أعناقهم أطواق الذهب ويقود كل منهم ألف جندي ، وهناك فريق آخر من الأمراء يعرفون بأصحاب القضيب يحملون فى أيديهم قضب من الفضة ورماح فضية ويقود كل منهم مائة جندي القلقشندى - صبح الأعشى - ج٣ - ص ٤٨٠ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى - ج٣ - ص ٤٧٩ .

(٥) المقرئى : الخطط - ج١ - ص ١٤٠ .

والتي إقتصرت عليهم فى يادئ الأمرهم القادة والمشايخ والأمراء المغارية رجال الخليفة الفاطمى وخاصته . فيؤكد ذلك المقرئزى بقلمه فقال « ثم أذن جوهر لفرق الجيش المرابطة فى الجيزة والقسطاط عصر يوم الفتح للإقامة فى المعسكر» (١).

ونكر عن ذلك الفرمانى « وجعل جوهر القاهرة حارات للواصلين صحبته... من بلاد المغرب» (٢) ثم بعد ذلك جاء المعز وأمرهم بسكنى عين شمس ثم أذن لهم بعد ذلك بالسكن فى القاهرة إذن المعز هو الذى أذن لباقى المغاربة وسمح لهم بالسكن والمبيت فى القاهرة بل الأبعد من ذلك أنه منع المغاربة من المبيت أو الخروج خارج أسوار القاهرة بعد صلاة المغرب فكان حريصاً على ذلك حتى أنه أمر صاحب الشرطة جابر القاسم الكتامى التاكذ من مبيت المغاربة داخل القاهرة وعدم مبيتهم خارجها خاصة فى القسطاط حيث كان الأهالى المصرئين يضقون بهم فى بداية عهد الدولة الفاطمية ثم تغير الحال وإمتزج الطرفان إلى حد كبير كما سنرى فى الجزء الخاص بالدراسة الإجتماعية .

(١) المقرئزى : إتعاض الحنفا - ص ١٧٦ .

(٢) أبو العباس أحمد الدمشقى الفرمانى : أخبار الدول وأثار الأول - ص ٦٠ .

حارات المغاربة فى القاهرة:

قبل البدء فى تحديد مواضع حارات المغاربة فى القاهرة هناك إشارة سريعة لكلمة حارة أو حارات لتسجيل السبق للفاطميين فى تسمية الخطط بكلمة " حارة " وفى الحقيقة لم يرد إلى مسامعنا من قبل فى المصادر التاريخية مثل التسمية " حارة " قبل العصر الفاطمى ، وهى إضافة مغربية فى مجتمع القاهرة التى لاتزال تستخدم هذه الكلمة حتى عصرنا إلحاضر .

وبعد فعلينا تحديد مواقع تلك الحارات ^(١) الخاصة بالمغاربة فكان بالقاهرة الفاطمية، ثمان حارات مغربية هى :

الحارة الكتامية - حارة زويله - حارة المصامده - حارة البرقية - حارة المحمودية - حارة الباطلية - حارة العدويه - حارة الهلالية.

حارة الكتامية :

تنسب هذه الحارة إلى قبيلة كتامة المغربية وكانت حارة الكتاميين بالقرب من الجامع الأزهر وبالتحديد فى الركن الجنوبي الشرقى من الجامع الأزهر ^(٢) ويجوار حارة الباطلية . واقد حظيت قبيلة كتامة بإهتماماً بالغافى ذلك الوقت لما لها من نور كبير وفعال فى تاريخ الدولة الفاطمية. لذلك لاجب فى وجود كل تلك الأعداد الكتامية فى القاهرة المعززة . وقد برز فى هذه الحارة الكتامية خط قصر ابن عمار نسبة إلى ابن عمار محمد الحسن وهو من كبار شيوخ كتامة ^(٣) .

(١) كان هناك فى القاهرة الفاطمية حارات أخرى ولكن سكنها غير المغاربة وهذه الحارات سميت بأسماء من سكنوها ومنها حارة الروم وحارة الريلم ثم حارة عبيد الشراء وحارة السودان وغيرهم عن ذلك أنظر المقرئى الخطط - ج٢ - ص ٢٨٩ / أبو المحاسن - النجوم الزاهرة . ج ٤٩ .

(٢) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة - ج٤ . ص ٥٠ .

(٣) المقرئى: الخطط - ج٢ - ص ٢٩٠ .

حارة زويلة :

عرفت هذه الحارة بزويلة نسبة إلى قبيلة زويلة^(١) المغربية التي إختطتها ونزلت بها وحفرت البئر المسمى ببئر زويلة فيقول المقرئزي " لما نزل القائد جوهر للقاهرة ، إختطت كل قبيلة خطه عرفت بها ، فزويلة بنت الحارة المعروفة بها والبئر التي تعرف ببئر زويلة^(٢) .
وبالإضافة إلى حارة وبئر زويلة كان هناك بابى زويلة ، وقبيلة زويلة المغربية موطنها بلاد القيروان .

وكان بين حارة زويلة وبابى زويلة^(٣) عدة محال ، وتتصل حارة زويلة بالخليج الكبير من الجهة الغربية وتجاه حارة زويلة يقع إصطبل خيول الخليفة وبهذا الإصطبل يوجد به بئر زويلة ، ويذكر أبو المحاسن فى نجومه عند الحديث عن حارة زويلة أنها سميت بذلك نسبة إلى إمراة تعرف بزويلة وهى صاحبة البئر وبابى زويلة ، وفى الحقيقة نحن لانعرف عنها شيئاً^(٤) ويبدو أن هذه الرواية من نسيج خيال الرواه .

(١) زويلة بفتح الزاى وكسر الواو ويا ساكنه وفتح اللام ، وهى أربعة مواضع ، الأولى زويلة السودان وهى قصبه أعمال فزان فى جنوب إفريقية ... والثانى زويلة المهديّة بلد الريص للمهدية إختطه عبد الله الملقب بالمهدى .. والثالث باب زويلة بالقاهرة من جهة الفسطاط والرابع حارة زويلة ، محله كبيره بالقاهرة - ياقوت الحموى . معجم البلدان ج ٢ ص ١٠٥ ، المقرئزي : الخطط ، ج ٢ ص ٥٢٤ .

(٢) المقرئزي : الخطط : ج ٢ - ص ٥٢٤ .

القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ - ص ٣٥٦ .

أبر المحاسن : النجوم الزاهرة - ج ٤ ص ٣٩ .

(٣) فى زمن المستنصر كان قد زال هذان البابان وبني أمير الجيوش بدر الجمالى من سنة ٤٦٧ إلى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٧٤ / ١٠٩٤ م بدلاً منهما باب زويلة الكبير القائم حتى اليوم ثم حورته العامة وأطلقت عليه المتولى حيث كان يجلس متولى الحسبه فى القاهرة .

(٤) أبر المحاسن - النجوم الزاهرة - ج ٤ - ص ٥٢ .

الحارة البرقية :

تنسب هذه الحارة إلى طائفة العسكر المغاربة فى الجيش الفاطمى ، والتي تسمى بطائفة البرقية نسبة إلى " برقه" وعن ذلك يذكر القلقشندى :

" وجد فى حاشية كتاب بخط ابن عبد الظاهر ، أن الصالح طلائع بن رزك عندما تقلد الوزارة أقام جماعة من الأمراء يقال لهم البرقية فكانوا عوناً له فأسكنهم هذه الخطة"^(١).

ويتضح من النص أن هذه الحارة سكنها الأمراء البرقية بطلب أو بموافقة الوزير الفاطمى الصالح طلائع بن رزك ومعنى ذلك أن هذه الحارة لم تكن قائمة فى بداية تأسيس القاهرة زمن جوهر ولكنهم سكنوها فى وقت لاحق ، وموضع حارة البرقية اليوم هو حى الدراسة ، ونسب إلى هذه الطائفة الباب المسمى بها وهو باب البرقية^(٢) الذى دخلوا منه للقاهرة عند وصولهم.

أيضاً هناك حارات مغربية فى القاهرة هى : حارة المحمودية وحارة العدوية .

وجميعها تنسب إلى الطائفة التى سكنتها، فحارة المحمودية نسبة إلى طائفة المحمودية إحدى طوائف المغاربة والعدوية هى من طوائف المغرب^(٣) التى جاءت إلى مصر كأحد فرق الجيش الفاطمى والتي جاءت للقاهرة بصحبة الخليفة العزيز بالله الفاطمى^(٤).

(١) القلقشندى : صبح الأعشى : ج٣ : ص ٣٥٨ .

(٢) المقرئى : الخطط : ج٢ : ص ٤٣ .

(٣) المقرئى : الخطط : ج٢ : ص ٣ .

(٤) نفس المصدر ، الجزء ، والصفحة .

كذلك هناك حارة أخرى وهى حارة قائد القواد التى سكنها حسين بن جوهر القائد الملقب بقائد القواد فعرفت به (١).

وهناك حارة أخرى تسمى الخطط الكافورى .

وهى فى الأصل بستاناً لكافور الإخشيد الذى ظل على حاله حتى إختطه طائفته مغربية تسمى العزيزية والبحرية (٢) وهما من طوائف المغرب فسكنوا هذه الحارة وعرفت بخط الكافورى نسبة إلى البستان الكافورى (٣) سابقاً .

وبصفة عامة كان هناك مايميز حارات المغاربة فى القاهرة وهو أنها كانت منفصلة عن بعضها البعض بحيث أن السور أو الجوار لايقابل الجوار الأخر المجاور له وكانت هناك مساحات واسعة خضراء بين كل منزل وآخر وكان الجامع الأزهر يتوسط كل هذه الحارات فيسر ذلك على السكان تأدية الفروض الخمس داخل المسجد بكل سهولة ويسر .

(١) أصبحت حارة قائد القواد تسمى حارة ملوخية زمن الحاكم بأمر الله نسبة إلى أحد فراش القصر.

(٢) المقرئى : الخطط - ج ٢ - ص ٤ .

(٣) على مبارك : الخطط التوقفية الجديدة - ج ١ - ص ٤١ .

علاقة المغاربة بأجهزة الحكم والإدارة فى العصر الفاطمى

١ - علاقة المغاربة بأجهزة الحكم

إشتملت العلاقة بين المغاربة وأجهزة الحكم بالعديد من الأحداث فمنها الإيجابى الذى يؤكد عظيم الصلة والقوة بين الخلفاء والمغاربة كذلك منها السلبى الذى يصل إلى درجة التقليل من شأن المغاربة بل وإبعادهم عن مسرح الأحداث فى الدولة الفاطمية ، فكانت علاقة متأرجحة ما بين قوة وضعف وكطبيعة الحياة ومن عليها " التغيير " فكذلك كان حال العلاقة بين المغاربة والخلفاء الفاطميين .

فكانت العلاقة فى غاية قوتها زمن الخليفة المعز لدين الله فقد حرص المعز منذ قدومه إلى مصر على إبراز وتأكيد أهمية المغاربة فى الدولة الفاطمية ، فكان لهم الإمتياز الأول فى البلاد وكان المعز لدين الله أشد الخلفاء الفواطم إعترافاً بأهميه دور المغاربة بإختلاف طوائفهم وفى مقدمتهم طائفة كتامة لما قدمت به من دور أساسى فى تشييد صرح الخلافة الفاطمية ولا أدل من شدة قرب المغاربة من الخلافة إذ كانوا هم رجال وقادة الخليفة المعز لدين الله الفاطمى وأساس دولته .

ولقد أمر المعز بأن يشارك المغاربة فى إدارة جميع شئون البلاد ، فعين ونصب إلى جانب كل موظف مصر آخر مغربى (١) فهو لم يخلع الموظف المصرى عن منصبه تماماً ، فبثير غضب أهل البلاد لإنفراد المغاربة وإستنثارهم بالمناصب العليا أيضاً هناك ما يؤكد الصلة القوية (٢) ومدى مكانه المغاربة عند المعز فكان يقربهم اليه ويغدق عليهم بالاعطيات والهدايا ، فيعتبر عهد المعز لدين الله ، أفضل فترات النفوذ المغربى خاصة كتامة المغربى فكان لها الإهتمام الأكبر والنفوذ الأوسع والكلمة العليا فى البلاد فى عهد المعز ، فقد إصطفى المعز المغاربة (٣) الكتاميين وقربهم اليه ، فعند قدومه سمح لهم بالسكن فى

(١) - ابن ميسر : أخبار مصر : ص ٤٣ .

(٢) - القرزى : الخطط : ج ١ : ص ٤٣٨ .

(٣) نفس المصدر والمجزء .

القاهرة^(١) ويعتبر هذا هو زمن الإستقرار الفعلى للمغاربة فى القاهرة .

فكان إختيار المعزبان يسكن المغاربة فى القاهرة دليلاً واضحاً على مدى قربهم إليه فقد كان من الممكن يستقروا خارج القاهرة بعيداً عن مقر الخلافة ، ولكن المعز إختيار لهم القاهرة ليكونوا بالقرب منه فهم رجال دولته وخاصته ، وبصرف النظر عن الأسباب التى كانت وراء حرص^(٢) المعز على تجميعهم للمبيت داخل القاهرة ومنها ألا يحدث المغاربة أى إضطرابات أو مضايقات فى القسطنطينية إلا أن قربهم من الخليفة كان قوى الأثر والوضوح فى جميع شئون البلاد بل كان للكتاميين ديوان خاص بهم للنظر فى شئوتهم وهذا دليل آخر على مكانتهم وإهتمام الخليفة بهم فيذكر المسبحى فى حوادث شهر جماد الآخر سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م " أنه فى يوم الثلاثاء جلس المكنى بأبى الفرج بن الموفقى بن النحاس عنه لأجل أن ابن الموفقى ضمن أن يظهر على " أبى القاسم المرتضى " خمس عشر ألف دينار . ابتاع بها براءات من ديوان الكتاميين^(٣) .

ولقد إستمر ديوان الكتاميين حتى سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م .

فإتسمت العلاقات بأنها متأرجحة فيما بين قوة وثقه تاره وسخط وعدم رضا تارة أخرى فى عهد العزيز، وكانت علاقة الخليفة الحاكم بأمر الله بالمغاربة فى بداية عهده يسودها الود والرضا فقد تغيرت تماماً فى عهد وزارة برجوان الخادم أو قبل توليته^(٤) بقليل بدليل عزل الخليفة الحاكم لابن عمار^(٥) من الوزارة وحل محلة برجوان ولكن هذا لم يوقف النفوذ المغربى فقد ظل مستمراً حتى نهاية عهد الخليفة الحاكم بأمر الله^(٥) .

(١) المقرئى : الخطط - ج ٢ - ص ٣٢ / ناصر خسرو : سفرنامه ص ٩٢ .

(٢) المسبحى : تاريخ مصر : ص ١٢

(٣) - المقرئى : الخطط : ج ٢ - ص ٢٨ .

(٤) - القلقشندى : نفس المصدر والصفحة - / المقرئى : المصدر السابق ص ٩ .

(٥) - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ - ص ١٣٢ .

وعند ماتولى الخليفة الظاهر سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م إستمرت الثقة فى المغاربة وقوى نفوذهم فى الدولة الفاطمية وإستمرت العلاقات وقرب المغاربة من الخلفاء فقد خلع الخليفة الظاهر على أبو الحسن عمار بن محمد " لقب رئيس الرؤساء خطير الملك وولاه الوساطة سنة ٤١٢هـ / ١٠٢١ م .

ثم نرى هذه العلاقات تسوء فيما بين الظاهر والمغاربة بسبب ما يحدثه بعض قادة المغاربة من مشاكل وفتن بين رجال الدولة الفاطمية وربما مرجعه لما يحدثه الديلم والأتراك وما يثيرون به غضب المغاربة ، فلذلك سواء كان المغاربة هم البادئين أو هم من وقع عليهم الظلم فى بادئ الأمر ، من قبل الأتراك وغيرهم ، فإن تلك الإضطرابات والفتن جعلت الخليفة الظاهر يميل إلى المشاركة من الأتراك والديلم عن المغاربة ، قفى سنة ٤١٦هـ - / ١٠٢٥م كانت أحوال المغاربة فى هذه الفترة سيئة للغاية ، فقد أستكثر الخليفة الظاهر من الأتراك وإستكثرت أمه من العبيد فنشأت عن ذلك مرحلة جديدة من التنافس بين المغاربة وتلك العناصر ، التى أخذت الأضواء منهم ، ثم كان عهد الخليفة المستنصر الفاطمى هو بداية أقول نجم المغاربة وبدايه لذهاب نفوذهم وسلطانهم فى الدولة الفاطمية فقد كان عهد المستنصر ضعفاً للنفوذ المغربى بل ولتعرضهم لعمليات القمع ، فقد ورد فى السجل «ولما وصل إلى الأعمال المصرية وجدها منهياً بأيدي المتغلبين الذين منهم طائفة تسمى طائفة لواته ، تشمل عدتهم على نحو خمسين ألف رجل و فكان أول أفعال مكافحته لهم وترويته السيوف فى دمائهم ، حتى صرع فى القاع منهم الأكوف وجعلوا أطعمه للكلاب والنسور ، وغرق ألوف آخرون فى البحر تأكله السموك ووطحنت هذه الطائفة الحادة الشوكه الكثيره - العدة بمطاحن الردى »^(٢) ونظرة متأمله لتلك السطور التى وردت يتضح ما وصل إليه حال

(١) - إستمر أبو الحسن عمار بن محمد فى الوساطه منه لاتزيد عن سبعة أشهر فقد خشيت «ست الملك» اخت الخليفة الحاكم من إنقياد الظاهر لوزيره إبن الحسن عمار من محمد فعملت على قتله فى ذى الحجة من نفس العام الذى تولى فيما الوساطه . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ - ح ٩ . ص ١٣٥ .

(٢) - السجلات المستنصرية - سجل رقم ٥٦ - ص ١٨٤ .

المغاربة من قهر ويطش الى حد القتل والتصفيه الجسدية ، وكذلك عندما أشار فى الوثيقة بقوله " الذين منهم طائفة تسمى لواته " وكأنه لا يبرد ذكر إسم لواته أو يلفظ به من قبل وهذا يفيد إستنكاره لهم ومدى ما وصلت اليه العلاقات بين الخلفاء الفاطميين والمغاربة .

وكان من أثر ما أصاب المغاربة فى عهد المستنصر من قتل وتنكيل أن عبروا عن سخطهم للجهاز الحاكم ، بعمليات للسلب فى بعض الأحيان هذا بالإضافة لما كان الحال عليه زمن المستنصر من سوء الأحوال الإقتصادية والتي تعرف فى التاريخ بالشدة المستنصرية ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على ما وصل إليه المغاربة من ضعف وسوء أحوال من بعد عزة فقد توقفت عنهم المعونات والعطايا ^(١) وإذا كانت تنص السجلات على ما أصاب طائفه لواته المغربية فإن هناك ما يذكره المقرئى عن طائفه كتامه ^(٢) وكلها نصوص تؤكد ما وصل إليه النفوذ المغربى من التردى وسوء العلاقات بالخلفاء الفاطميين .

فقد ذكر المقرئى ما يوضح سوء أحوال المغاربة الكتاميين « إلى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وقتل رجال الدولة وأقام له جنداً وعسكراً من الأرمن فصار من حينئذن معظم الجيش الأرمن وذهبت كتامه وصاروا من جملة الرعية بعد ما كانوا من وجوه وأكابر أهلها » ^(٣) .

وبالمقارنة بين نص المقرئى عن كتامه وما جاء فى السجلات المستنصرية عن طائفه لواته فإن العامل المشترك أو الطابع المميز للخليفة المستنصر أن الوسيلة السريعه للتخلص من التقلع المغربى هو القتل والنصفيه الجسدية وفى الحقيقة إن نص المقرئى أو

(١) المسبحى : تاريخ مصر - ص ١١١ .

(٢) المقرئى : الخطط - ج ٢ - ص ٣٠٥ .

(٣) المقرئى : الخطط - ج ٢ - ص ٣٠٦ .

ماحدث لطائفتي كتامه ولواته زمن المستنصر لايلغى تماماً الوجود والنفوذ المغربي عن مسرح الأحداث في الدول الفاطمية ، لأن هناك العديد من الطوائف المغربية الأخرى في البلاد وكان منهم من شارك في الأحداث وكان له أدوار هامة فمن المغاربة من شارك في الوزارة^(١) في عهد الخليفة الظافر سنة ٥٣٤هـ وحتى سنة ٥٤٤هـ / ١١٣٩م حتى ١١٤٩م كذلك كان منهم من تولى القضاء في ذلك الوقت ، إذن الوجود المغربي إستمر حتى بعد خلافة المستنصر وإن كان هذا النفوذ قد قل كثيراً ، فمنذ وزارة بدر الجمالي بدأ عهد نفوذ الوزراء العظام^(٢) .

وعلى الرغم كل الظروف التي أحاطت بالنفوذ والوجود المغربي كنان هناك وجود مغربي متفرق في الدولة الفاطمية أوبصوره متقطعه وليس كما سبق خاصة في عهد الخليفة المعز لدين الله .

فلقد ظل المغاربة يلعبون أدواراً متعددة في الدولة الفاطمية وظل وجودهم في دائرة الضوء وإن كان بشكل ضعيف لكنه إستمر حتى سقوط الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي وفقاً للأحوال المتاحة أمامهم^(٣) فيجب أن نعترف أن الأرمن والأتراك والديلم وعبيد الشراء وغيرهم من العناصر في الدولة الفاطمية قد إستنفذوا كل إهتمام الخلفاء الفاطميين بصورة لم يعد بعدها مكان للمغاربة أو مجال للإهتمام والرعاية .

ونؤكد أن النفوذ المغربي في العصر الفاطمي قد ضعف في النصف الثاني من الدولة الفاطمية ولكن لم ينتهي تماماً هذا النفوذ المغربي .

وإذا كانت السجلات المستنصرية تشير إلى القضاء على رجال قبيلة لواته المغربية والتخلص من نفوذهم في الدولة فإن ذلك لايعنى القضاء التام على هذه الطائفة زمن

(١) ابن ميسر : أخبار مصر - ص ٩٢ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : رفع الإصر - ص ١٠٦ .

(٣) ابن حجر العسقلاني : رفع الأصر - ص ١٠٧ .

المستنصر فقد وجدنا فى ديوان عمارة اليمنى مايشير إلى دور قبيلة لواته المغربية^(١) سنة ١١٦٢ هـ / ١١٦٢ م وهكذا مع باقى طوائف المغاربة فى الدولة الفاطمية فكل هذه مصادر تاريخية تؤكد إستمرار الوجود المغربى .

والخلاصة أنه إذا كان الخليفة المعز لدين الله قد قدم كتابه على باقى المغاربة فقد إصطنع العزيز الديللم والأتراك ثم جاء الخليفه الظاهر والحاكم ومالا إلى المشاركة والأتراك دون المغاربة ، ثم كان الخليفه المستنصر يميل للأتراك وكانت أمه تميل للعبيد عن ذلك يقول المقرئى « حتى ملك المستنصر بعد أبيه الظاهر ، فإستكثرت أمه من العبید وإستكثر هو من الأتراك وتتافس كل منهما الآخر فكانت الحروب التى آلت إلى خراب مصر وزوال بهجتها»^(٢) .

فهذا كله أدى إلى إضعاف الوجود والنقوذ المغربى فى الدولة الفاطمية بل وأدى إلى التنافس والتحاقد بينهم وبين العناصر الأخرى بصورة جعلت الأتراك والديللم وغيرهم يستخدمون مآلدبهم من مكر وفس المكائد لإضعاف النقوذ وقطع العلاقات والروابط بين المغاربة والخلفاء والحط من شأنهم وتخويف الخلفاء من نفوذهم وكسر شوكتهم وإذا كان ماسبق تحليلاً لما أصاب المغاربة من ضعف وقله حيله وضياع النقوذ فإنه من الصعب تحديد فترة زمنية لذلك وصفوة القول : أن نفوذهم بدأ فى الضعف منذ زمن المستنصر ولكن لم يختفى تماماً وظل نفوذهم قائماً ولكن بشكل ضعيف متناثر حتى سقوط الخلفاه الفاطمية ١١٦٧ هـ / ١١٧١ م .

(١) ديوان عمارة اليمنى - فاقة الكاف ٦ - النكت العصرية : ص ٧٨ .

(٢) المقرئى : الخطط - ٢ - ص ٣٠٦ .

٢ - علاقة المغاربة بالإدارة فى العصر الفاطمى

ارتبطت إدارة القاهرة فى العصر الفاطمى إرتباطاً وثيقاً بالمغاربة خاصة فى البدايات الأولى للدولة الفاطمية ، فمنذ الفتح الفاطمى بقيادة جوهر الصقلى ومن ثم قدوم المعز لدين الله ، إعتلى العنصر المغربى العديد من المناصب الإدارية العليا فى القاهرة (١) . فقد كان إشتراكهم فى مختلف المواقع والمناصب الإدارية إلى جانب الصفة العسكرية التى عزم الفاطميون فى الإلتقاء عليها لدى فرق الجيش المغربية إلا أنهم عموا فى نفس الوقت على الإعتماد على هؤلاء المغاربة فى إدارة شئون البلاد عن طريق توليهم المناصب الهامة فى البلاط والسياسة قد بدأها جوهر منذاً لسياسة الخليفة المعز منذ البداية ، وشمل بتقيراته جميع القطاعات حتى قيل فى ذلك " أنه لم يدع عملاً إلا جعل فيه مغربياً شريكاً لمن فيه " (٢) .

ولقد إتسمت السياسة الفاطمية الخاصة بالشئون الإدارية بالحكمة، فأشترك المغاربة فى العديد بل فى معظم الوظائف الهامة فى القاهرة حاضرة الخلافة الفاطمية و شئون البلاد وإشتراك المغاربة فى الوظائف الإدارية إلى جانب الموظفين المصريين أكسبتهم الخبرة والدراية الكافية للمرحلة القادمة ولكن إنفرادهم وتوليهم للمناصب الكبيرة بدلا من المصريين قد يثير غضب أهل البلاد، وعلى كل فإن توليه المغاربة لهذه الوظائف الهامة توضح مدى ثقة الخلفاء لهم فقد تولوا المناصب العليا فى مختلف المجالات فى الوزارة والقضاء والشرطة والحسبه والنواوين ووظائف أخرى خاصة بالقصر فكان ذلك شرف إختص به المغاربة.

(١) ابن ميسر : أخبار مصر - ص ٤٣ .

(٢) المقرئى : إتعاظ الخنفا - ص ١٦٣ .

ابن خلكان : رفيات الأعيان - ج ٢ - ص ٤٤١ .

المغاربة فى منصب الوزارة والوساطة :

لقد تولى العديد من المغاربة الوزارة أو الوساطة فى العصر الفاطمى فكان منهم عسلوج^(١) بن الحسن فقد كان وزيراً للخليفة المعز لدين الله ويشاركه فى الوزارة يعقوب بن كلس .

كما تولى «جبر بن القاسم» الوزارة فى عهد الخليفة العزيز بالله ولقد تولها لمدة ثلاثة أشهر من شوال سنة ٢٧٢ هـ / ٩٨٢ م إلى المحرم سنة ٢٧٤ هـ / ٩٨٤ م وفى عهد الخليفة الحاكم تولى الوزارة الحسن بن عمار لمدة إحدى عشر شهراً من شوال سنة ٢٨٦ هـ / ٩٩٦ م وحتى ٢٧ شعبان من نفس العام .

وتولى «على بن الفلاح» الوزارة لمدة ثلاثة سنوات من سنة ٤٠٦ حتى ٤٠٩ هـ / ١٠١٥ / ١٠١٨ م زمن الحاكم .

كذلك ممن تولى الوزارة من المغاربة زمن الحاكم "عمار بن محمد" تولى الوزارة سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م وإستمر حتى ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م حتى زمن الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمى ، فكانت مدة وزارته سنة وخمس أشهر ولقد إستمر الوجود المغربى فى الوزارة من سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م وحتى سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م^(٢) .

وكان عسلوج بن الحسن^(٣) هو أول مغربى تولى الوزارة فى الدولة الفاطمية فى عهد الخليفة المعز لدين الله .

كما أن الخليفة المعز لم يستخدم مصطلح "الوزارة" فى عهده فقد كانت هناك

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان - ج ١ - ص ٤٤٠ .

(٢) ابن أبيك : الدررة المضيئة - ص ١٥٩ .

(٣) كان عسلوج بن الحسن مغربياً مسلماً شيعياً على مذهب الدولة الفاطمية قدم العديد من المجهودات للدولة الفاطمية مما جعل له مكانه مرموقه جعلت الخليفة المعز لا يتردد فى مكافاته وتكريمه ، فلا غرابه فى ظهور عسلوج بن الحسن دون سائر الناس ركباً فى مركب الخليفة على قدم المساواه مع القاضى النعمان بن حيون واضع أسس الفقه الشيعى الإسماعيلى . القاضى النعمان : المجالس والمسائرات ج ٢ ص ١٦٠ .

الوساطة فيذكر المقریزی : « المعز لم يوقع إسم الوزارة على أحد في أيامه »^(١).

بل كانت الوساطة فيما بين الخليفة والرعية^(٢).

ومن الملاحظ على المغاربة في منصب الوزارة^(٣) كثرة عددهم في عهد الخلفاء الفاطميين الأوائل وقلة عددهم في عهد الخلفاء الفاطميين في العصر الفاطمي الثاني وكما سبق وكان حاله بالمغاربة من حيث علاقتهم بالخلفاء كذلك كان الحال في علامه المغاربة بالإدارة فكلما تمتع المغاربة بحب ورضا الخلفاء الفاطميين كان هناك وجود مغربي قوى النفوذ في إدارة شئون البلاد وتولى المناصب العليا^(٤) والعكس صحيح خاصة في عهد الخلفاء الفاطميين الأواخر بما أضعف من نفوذ المغاربة وقلل هيبتهم إلى حد كبير .

(١) المقریزی - الخطط - ج١ - ص ٤٣٤.

(٢) يروى أن كل وزير مغربي كان يحمل مستندات وأوراقه داخل رقعه من الحرير.

Encycl de l'Islam . Gcolint .T.I.P. 1048 Anbin , le marco d'aujourd'hui (1903)chap . X.1.

(٣) الوزارة على نوعين : وزارة تفويض والثانية وزارة تنفيذ ، فوزارة التفويض هي أن يستوزر الخليفة أو الحاكم من يفوض إليه تدابير الأمور ، أما الثانية فحكمها أضعف وشروطها أقل لأن النظر فيها مقصور على رأى الخليفة أو الحاكم وهذا الوزير وزير التنفيذ وسط بين الحاكم والرعية . الماودى : الأحكام السلطانية - ص ٢٣ .

(٤) المقریزی : الخطط - ج١ - ص ٤٣٩.

المغاربة فى رئاسة الدواوين :

" المغاربة فى ديوان الإنشا "

لاشك فى أن من يتولى هذا المنصب الرفيع لابدله من التحلى بالصفات اللازمه لهذا المنصب ، فمنها البلاغه والحنكه وحسن التصرف والاحكمه وما إلى ذلك من شروط ولقد تولى «عمار بن محمد» هذا المنصب الهام وهو رئاسة ديوان الإنشا^(١) زمن الحاكم بأمر الله سنة ٤١١هـ - سنة ١٠٢٠م ، وكانت المكاتبات تسلم إليه مختومه ، فيعرضها هو على الخليفه بعد ذلك ، وكان من مهام منصبه وهو صاحب الديوان بأن يأمر بتذليل المكاتبات والإجابه عنها وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مكانة المغاربة فى الدولة الفاطمية فكان يخاطب صاحب ديوان الإنشا " بالشيخ الأجل " ويقال له " كاتب النست الشريف "^(٢).

صاحب بيت المال :

صاحب بيت المال أو كما يسمى فى العصر الفاطمى « وكالة بيت المال » وهى وظيفة لها مكانتها فى الدوله ومن يتولى هذا المنصب يجب أن يكون من أهل الثقه من الشيوخ العدول لأنه يؤتمن على أموال البلاد ويحكم منصبه يفوض اليه الخليفه النظر فى الشئون الماليه والتصرف فيها وهى فى الحقيقه سلطات كبيرة تمتع بها المغاربة عندما إعتلوا هذا المنصب فى الدوله الفاطمية فمن سلطات صاحب بيت المال أن يبتاع ويبيع

(١) الإنشا هى نسخه يقوم بحملها الكاتب فتعرض على صاحب الديوان ليزيد فيها أو ينقص منها أو يتركها على حالها ثم يأمر بتحريرها- أنظر - الخوارزمى - مفاتيح العلوم - ص ٦٩ .
(٢) كان كاتب النست الشريف يتقاضى راتباً شهرياً قدره مائه وعشرين ديناراً فاطمياً - الخوارزمى - مفاتيح العلوم - ص ٦٥ - آدم متر - الحضارة - ص ١٣٢ .

ما يرى ويمكنه أن يعتق العبيد ويزوج الإماء وينشأ ما يحتاج إليه الخليفة من السفن والمياني وغيرها (١).

وكان الحسن بن مهذب المغربي أول من تولى بيت المال منذ عهد جوهر وبعد قدوم المعز فكان الخليفة المعز لدين الله يقول لمحمد بن الحسن "تقدم يا محمد بإتباع لنا ولولاك عبد الله في كل يوم من الفاكهه الرطبه واليابسه كذا وكذا" (٢).

كذلك تولى ابن نواس المغربي بيت المال زمن الحاكم بأمر الله .

وظائف القصر الفاطمي :

هناك وظائف عليا تولاها المغاربة إختصت بخدمات القصر فكان أعلاها شأناً ما تعرف بـ "الإستاذين المحنكين" (٣) وكان إذا ترشح إستاذاً للتحنك وعين في هذا المنصب حمل إلى كل واحد منهما حله كامله من الثياب ومنديلاً وفرساً وسيفاً وبذلك يتم تقليده في المنصب وكان الأستاذين المحنكين يتمتعان بمنزله جليله عند الخليفة الفاطمي فهم خاصته ومن المقربين (٤) إليه وكان لهذا المنصب العديد من المهام المسنده إليهما وسوف نقوم بتعريف المهام التي خولت إلى الإستاذين المحنكين من المغاربة لأن هناك مناصب أخرى ومواصفات وأعمال أخرى ولكن لم يتولها المغاربة فمن تلك المناصب الخاصة بالمغاربة توليه منصب الحجابيه ومنصب صاحب رسالة الخليفة :

أما عن الحجابيه : فكان جعفر بن علي حاجب الخليفة المعز لدين الله . ثم تولاها عمار بن جعفر بعد وفاة أبيه .

(١) ابن ميسر : أخبار مصر - ص ٤٥ .

(٢) المقرئزي : الخطط ج ٢ - ص ٢٤٣ .

(٣) الأستاذين المحنكين : سمو بذلك لأنهم كانوا يدورون العمام على أحتناكهم وهم من أقرب المقربين للخليفة الفاطمي والمطلعين على أسراره وكان لهم الحق في التقلب بلقب أمير . المقرئزي الخطط ج ١ ص ٣٨٦ ، سهام أبو زيد المغاربة ودورهم في إدارة مصر . ص ١٣٥ .

(٤) الحاجب هو من حجب الرعيه عن الدخول على الخليفة إلا بإذنه وكان الحاجب من أعظم الأمراء وكان يتقاضى راتباً يعتبر أكبر مرتب يتقاضاه أحد في الدوله وهو مائه وعشرون ديناراً . النويري - نهاية الأرب ص ٤٦ .

أما عن صاحب رسالة الخليفة :

فهى من الوظائف الخاصة بخدمات القصر ومنصب صاحب رسالة الخليفة يتضح مكانتها من إسمها فكان يختار من بين كبار الأستاذين المحنكين ، فكان صاحب الرسالة من أكابر العلماء والحكماء والأكثر فصاحه وكان مكلفاً^(١) بإبلاغ أوامر الخليفة وتوصيل رسائله إلى الوزير وكبار الموظفين وكان من بين من تولى هذا المنصب من المقاربة هو محمد ابن تميم الكتامى صاحب رسالة المستنصر للمراسلات من وإلى دعاة اليمن^(٢) .

منصب حامل الرمح :

فهذا المنصب خاص أيضاً بوظائف القصر الفاطمى وربما هذا المنصب يتصف أكثر بالمظهر العسكري ، فهو يظهر فى المناسبات العامه والخاصه واقفاً خلف الخليفة وهو حاملاً رمحه^(٣) وكان لصاحب الرمح مكانه جليله فهو أمير مميز لدى الخليفة ، وكان صاحب الرمح يحمل رمحه الذى يوضع فى جراب مرصع باللؤلؤ وله سنان صغير بطيه ذهبية ، وكان حامل رمح الخليفة يتقاضى راتب شهرياً قدره سبعون ديناراً^(٤) .

المقاربة فى منصب الشرطة :

لقد برز دور المقاربة فى منصب الشرطة فى العصر الفاطمى ، وكان عسلوج بن

(١) المقرئى : المخطوط - ج١ - ص ٣٨٦ / القلتشندى - صبح - ح٣ - ص ٣٨٥ .

(٢) سجلات المستنصر إلى دعاة اليمن : تحقيق د. عبدالمنهم ماجد - دار الفكر سنة ١٩٥٤م .

(٣) أبو المحاسن - النجوم الزاهرة - ج٤ - ص ٩٠ .

(٤) القلتشندى - صبح الأعشى - ج٣ - ص ٤٦٨ .

الحسن^(١) هو ممن تولى منصب صاحب الشرطة زمن المعز وكان يشاركه فى ذلك يعقوب بن كلس^(٢) ومعنى ذلك أن الخليفة المعز قد أعطي الإساطه والشرطة لعسلوج بن الحسن .

وتولى جبرين القاسم سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م وكان من يتولى منصب صاحب الشرطة يعد من كبار الموظفين^(٣) وكبار رجال الدولة وفى سنة ٤٠٨ هـ - / ١٠١٧ م تولى منصب صاحب الشرطة على بن جعفر بن فلاح ، وكان صاحب الشرطة من المرشحين للوزارة ولابد له من التحلى بالعديد من الصفات ليكون جديراً بهذا المنصب ومنها القوة والحكمة والفتنه وكان هذا المنصب يشبه منصب وزير الداخلية فى الوقت الحاضر فلصاحب الشرطة العديد من المهام لإستتباب الأمن فى القاهرة والبلاد .

ويحتفظ المتحف الإسلامى بالقاهرة بصحن من الخزف ذى البريق المعدنى بإسم "غبن"^(٤) قائد قواد الحاكم بأمر الله الذى قلده الشرطة^(٥) والحسبه^(٦) سنة ٤٠٣ هـ / ١١١٣ م .

وكان الخليفة العزيز بالله عندما إشتد به المرض وشعر بدنو أجله إستدعى كلامن «أبى محمد بن عمار» والقاضى «محمد بن النعمان» وعن ذلك يقول ابن خلكان « ... ثم خاطبها فى أمور ولده الملقب الحاكم »^(٧) فإذا كان عهد العزيز بالله إستمراراً لعهد المعز

(١) ابن أيبك : الدررة المضيئه - ص ١٥٩ .

(٢) الكندى : الولاة والقضاء - ص ٤٢٠ .

(٣) ابن خلدون : العبر - المجلد السادس - ص ٢١٩ .

(٤) مايه محمود : المسكوكات الفاطمية - ص ٩٣ .

(٥) الخوارزمى : مفاتيح العلوم - ص ٧٨ .

(٦) ابن منجب : الإشارة الى من نال الوزارة - ص ٣٤ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان - ج ٢ - ص ٢٠٣ .

لدين الله من حيث تقريبيهم للمغاربه ، فإن هذا لا يمنع من مرور فترات فتور في العلاقات بين الخليفة وبين المغاربه والتي أدخل الخليفة العزيز بالله عنصرين آخرين في الدوله الفاطمية من غير المغاربه وهما الأتراك والديلم ولاشك أن وجودهما قد قلل من النفوذ المغربى خاصة الكتامى ، وبإستحداث هذه العناصر من الديلم والأتراك يدل على أن العزيز بالله أحدث نوعاً من التوازن والتقليل من حده النفوذ المغربى الكتامى فى القاهرة بل وفى البلاد كلها .

وعودة لعهد الخليفة العزيز بالله سنة ٣٦٥هـ (١) - سنة ٩٧٦م إستمرت أحوال وعلاقات المغاربه مع الخلافة الفاطمية خاصة فى بداية حكم العزيز بالله ، فكانت الوزارة فى يد أبى محمد الحسن بن عمار بن على الكتامى فكان وجودة كوزير مغربى فى الدوله الفاطمية إلى جانب يعقوب بن كلس (٢) .

ثم كان عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الذى شهد تذبذباً فى العلاقات بينه وبين المغاربه وفى الحقيقة هذه هى طبيعة علاقات الحاكم بأمر الله بالمحيطين به .

وعن ثقة الخليفة وقوة مركز ونفوذ المغاربه فى الدوله الفاطمية، بل كان وجود ابن عمار فى منصبه هذا تدعيماً لمركز المغاربه جميعاً وللكتامين خصوصاً بصفته كبير شيوخ كتامه (٣) كذلك تولى ابن عمار أمور البلاد فى فتره سجن الوزير يعقوب بن كلس فيذكر ابن أيبك فى حوادث سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣ م .

(١) المقرئى - الخطط - ج٢ - ص ٢٨ .

(٢) - كان يعقوب بن كلس يهودياً ، نشأ فى بغداد ثم سافر مع أبيه إلى الشام ورحل منها إلى مصر ، حيث إتصل بكافور الأخشيدى فأعجب به وعينه فى ديوانه الخاص وعندما أظهر إسلامه فى شعبان سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٦ م زادت حظوته عند كافور . ابن خلكان - وفيات الأعيان - ج٢ - ص ٤٦١ .

(٣) - كان الحسن بن عمار الكتامى هو رابع الوزراء المغاربه وقد تولى الوزارة فى شوال سنة ٣٦٣هـ وحتى ٢٧ شعبان سنة ٣٨٧هـ وكان كبير كتامه وشيخها . ابن خلكان - وفيات - ج٢ - ص ٢٠١ .

يقوله " قبض فى هذه السنة على الوزير يعقوب بن كس وعلى سائر أصحابه ،
وعاد التدبير إلى أبى محمد بن عمار " (١) .

المغاربه فى القضاء :

شغل المغاربه منصب القضاء فى الدوله الفاطمية فترة طويلة قربت إلى قرن من
الزمان - من سنة ٣٦٢ - ٤٤١ هـ / ٩٧٣ - ١٠٤١ م وكان منصب القضاء يتم التعيين
فيه من قبل الخليفه الفاطمى طوال العصر الفاطمى الأول أمبا فى العصر الثانى فكان
الوزراء هم الذين يقلدون القضاء . وفى العصر الفاطمى الثانى لم يكن أكثرهم من المغاربه
إلا فيما ندر خاصة منذ زمن الوزير أمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستنصر بينما كان
منصب القضاء فى العصر الفاطمى الأول لا يخلو من العنصر المغربى حيث إستمر منصب
القضاء فى بني النعمان المغاربه فترة طويله من العصر الفاطمى وكان أول من تولى
منصب القضاء فى الدول الفاطمية هو أبو حنيفه النعمان بن أبى عبد الله بن حمد بن
منصور بن حيون بالإشتراك (٢) مع القاضى ابن أبى ثوبان المغربى .

وفى سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م تولى عبد الله بن محمد بن أبى ثوبان المغربى واختص
بمظالم المغاربه وذلك فيما يختص بالحكم بين الجند والتجار منهم (٣) فقط وذلك فى عهد
الخليفه المعز لدين الله ثم زيد فى إختصاصه فشمّل المصريين أيضاً ولقد إستمر فى ذلك
المنصب حتى سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م .

(١) - ابن أيبك الديندارى : الدررة المضيئه - ص ٢٠٨ .

(٢) إذا تقلد قاضيان على بلد واحد يجوز ذلك لكن مع توافر ٣ شروط : الأول أن يرد إلي أحدهما مرضعا وإلى
الآخر غيره ، فيصبح ذلك يقتصر كل منهما على النظر فى مرضعه والثانى أن يردا إلي أحدهما نوع من
الأحكام وللآخر غيره ، والثالث أن يرد إلى واحد منهما فقط جميع الأحكام فى جميع البلد كله - للمزيد عن
ذلك - الماوردى - الأحكام السلطانية - ص ٦٦ .

(٣) - الكندى - الولاة والقضاء - ترجمه للقاضى بن أبى ثوبان الأزدي - أخبار - ص ٢٩ .

ثم تولى منصب القضاء من أسرة بنمي النعمان " على بن النعمان سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م في عهد الخليفة العزيز بالله ، ثم في سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م تولى القضاء محمد بن النعمان وكان يلقب بـ " سيدنا " دليلاً على مكانته ويذكر ابن زولاق عن محمد بن النعمان بقوله " لم نشاهد بمصر تعاضى من الرئاسة ماشاهدناه له ولابلغنا عن ذلك قاضى بالعراق ، ووافق ذلك إستحقاقاً لما فيه من العلم والصيانة والهيبة وإقامه الحق " (١) وكان القاضى في عصر الدولة الفاطمية يحمل سيفاً (٢) تأكيداً لهيبته وعلوا مكانته وكان ينتقل إلى مجلس القضاء ممتطياً فرسه وهو فى كامل هيئته.

كذلك تولى القضاء القاسم (٣) بن عبد العزيز بن النعمان سنة ٤٠٨ هـ / ١١١٧ م منصب القضاء من المغاربة خارج أسرة بنى النعمان ولكنه خارج القاهرة (٤).

المغاربة في منصب والى المظالم :

تولى المغاربة منصب والى المظالم خاصة فى النصف الأول من العصر الفاطمى ولكن لم يرد ذكر العديد من المغاربة خاصة فى النصف الثانى من الدولة الفاطمية . ولقد أهتم الخلفاء الفاطميون بالمظالم (٥) التى كانت تقدم إليهم وعينوا لها يوماً فى

(١) - اللهبى العبر - ج ٢ - ص ٤٥ .

٣- بن جلکان - رقيات ج ٢ - ص ١٩٨ .

(٢) - الكندى - الولاة - ص ٥٨٩ وما بعدها .

(٣) - الكندى - الولاة والقضاء - ص ٥٩٣ .

(٤) - تولى القاضى جلال الملك المغربى القضاء بالفريه ابن ميسر - أخبار مصر - ص ٩٢ ، ابن حجر - رفع الإصر - ص ٢٨٨ وما بعدها .

(٥) - الكندى - الولاة - ص ٦١١ .

ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - ج ٩ - ص ٢١١ .

الماوردى - الأحكام السلطانية - ص ٦٥ .

الأسبوع وفي زمن الحاكم جعل يوم السبت لنظر في مظالم وحوائج المغاربة فقط ومنصب والى المظالم هذا كان له المكانة الكبيرة في الدولة الفاطمية فيقول الماوردي في أحكامه " ونظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد . . فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل الوقار نافذ الأمر عظيم الهيبة ."

ولقد تولى أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن النعمان^(١) المظالم سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م وكان قد عينه برجوان وزير الخليفة الحاكم بأمر الله وفي سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠٠ م جلس الحاكم بنفسه للمظالم ثم ردها لعبد العزيز بن النعمان ، ومن بعدها كان متولى المظالم هو صاحب الباب فكان يجلس في باب الذهب بالقصر الفاطمي^(٢) ، وهناك فرق بين منصب القاضي وناظر المظالم .

فلناظر المظالم القوه في تنفيذ ما ليس للقاضي من سلطان حيث يمكن لتولي المظالم أن يستعمل القوة والترهيب على المتعدى لكشف أسباب التعدى ويكشف الظالم ويرد لصاحب الحق ظلمته وإن نور ناظر المظالم يأتي عندما يقف القاضي في أمر ما خارج سلطته^(٣) .

(١) - الكندي : الولاة والقضاء - ص ٥٦٩ .

- المقرئ : الخطط - ج ٣ - ص ١٧٨ .

(٢) - الكندي : الولاة - ص ٥٩٧ .

- المناوي : الوزارة - ص ٤٦ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية - ص ٦٩ .

المغاربة فى منصب الحسبه :

تعريف بالحسبه : هى أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله
وقال الله تعالى " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"^(١).
وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك "

لذلك فإن من يتولى منصب الحسبه يجب أن يلتزم بالعديد من المهام التى هى من
صميم عمله ، فعليه أن يبحث فى المنكرات ولكن مظهر منها إلا إذا كان ذلك المنكر فى
إنتهاك حرمة يفوت إستدراكها بعد حدوثها ففى هذه الحالة يمكن للمحتسب أن يتجسس
ويبحث عن ذلك حذر فوات ما لا يحمد عقباه من إنتهاك المحارم أو إرتكاب المحظورات ، وإما
غير ذلك فليس فى إستطاعه المحتسب التجسس من أجله ، كذلك على المحتسب أن يبحث
عما ترك من معروف ليأمر بإقامته ، وكان للمحتسب أعراف فى تنفيذ مهام منصبه . ومن
حق المحتسب أن يعاقب بالتعزير أو يرهب من يفعل المنكرات الظاهرة .

وحقيقة الأمر أن الحسبه أمر وسط بين القاضى وناظر المظالم ولقد تولى العديد
من المغاربة منصب الحسبه منهم علي التوالى : سليمان بن عزة المغربى^(٢) ولاء القائد
جوهر الحسبه سنة ٢٥٩هـ / ٩٦٩ م .

(١) سورة آل عمران - الآية ١٠٤ .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية .

المقريزى : الخطط ٣ - ص ١٧٠ .

(٣) المقريزى : إتماظ - ص ١٦٩ .

ولقد كان سليمان بن عزه رجلاً كفؤاً ولقد قام بعمله على خير وجه فيقول المقرئى
" كان ابن عزه كفؤاً وقام بعمله على خير وجه فضبط الساحل وجمع الفماحين فى موضع
واحد ولم يدع لف قمح يجمع إلا بحضورته وضرب أحد عشر رجلاً من الطحانيين وطيف
بهم^(١) .

كما أشرف على الحسبه «الحسين بن عبد العزيز» زمن العزيز بالله الفاطمى سنة
٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ثم تولى على بن سعد الحسبه زمن الحاكم^(٢) بأمر الله سنة ٣٨٠ هـ /
٩٩٠ م وفى سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م تولى الحسبه على بن جعفر^(٣) ثم أسندت إلى
يعقوب الكتامى^(٤) وفى عهد الخليفة الظاهر سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م تولى دواس بن يعقوب
الكتامى الحسبه ، ثم تولى فتح بن نصر الكتامى الحسبه بعد ذلك .

(١) المقرئى : إغائه الأمد - ص ١٤ .

- وعن الحسبه كان فى الصدر الأول للإسلام يباشرونها بإتفهم للمصلحة العامة ولجزيل ثوابها كذلك كان من
صميم عمل المحتسب أن يمنع خضاب الشيب بالسواد إلا للمجاهدة فى سبيل الله ويؤدب من يصبغ به للنساء
لكنه لا يمنع الخضاب للنساء بالحناء كذلك كان يمنع من يكتسب بالكهانة أو اللهر غير المشروع) -
الماوردى الأحكام السلطاني - ص ٢٢٣ .

(٢) المقرئى - الخطط - ج ١ ص ٤٨٦ .

(٣) ويذكر الذهبى - أن الخليفة الحاكم بأمر الله كان يتولى الحسبه بنفسه فى القاهرة وليس جبه " صوف أبيض
ويركب حمار قدر يغل " يسمى قمر " ويطوف أسواق القاهرة ومعه عبدا أسود طويل عريض يمشى فى ركابه يقال
له مسعود عن ذلك أنظر - الذهبى - العبر - ج ٣ - ص ١٠٦ .

(٤) المناوى - الوزارة - ص ٢٥٠ .

- المسيحى - تاريخ مصر - ص ٤٨ .

- المقرئى - الخطط - ج ١ ص ٣٨٧ .

- المسيحى - تاريخ مصر - ص ٧٤ - وما بعدها .

والخلاصة :

أنه يمكننا القول أن المغاربة شغلوا العديد من المناصب العليا في الدولة الفاطمية وكانت لهم المشاركة الفعالة في إدارة القاهرة منذ الفتح على يد جوهر وحتى نهاية العصر الفاطمي وإن اختلف الحال بالمغاربة من خليفه إلى آخر ولكن يمكننا أن نقول بأن عصر المعز أنتهى بون حدوث أى تغير فى مكانه المغاربة أو تقليل من نفوذهم فلم نسمع عن تقريب المعز لدين الله لأخرين غير المغاربة خاصة للمغاربة الكتاميين حتى وفاته وكذلك فى عهد العزيز بالله وفى شهر ربيع الثانى سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥ م بدأت العلاقات يشوبها الفتور بعض الشئ فيما بين الخليفه العزيز والمغاربة ، كان سببه ذلك الشعور الذى تملكه بفقدان الثقة تجاه طائفه كتامه المغربيه لما بدر منهم فى حق الدوله الفاطميه على الصعيدين الخارجى والداخلى (١) .

وكانت النتيجة التى خالص بها العزيز أن المغاربة قد إستنفذوا طاقاتهم فى خدمة الخلفه ومن ثم وجب على الخليفه أن يبدأ سياسة جديدة تجاه المغاربة وإبدالهم بالتدريج بوجوه وعناصر جديدة مثل الديلم والترك الذين سموا بالمشاركة (٢) .

(١) اعتبر الخليفه العزيز بالله أن الكتاميين وفرقهم التى ذهبت إلى الشام لبسط نفوذ الفاطميين فى أواخر سنة ٣٦٥هـ - سنة ٩٧٦م وماتج من خيبه أمل للمفاطميين إذ سيطر أفتكبين على الشام هو وجنده الأتراك ، ولقد عاد جؤهر قائد الجيش على الشام منتسحياً إلى مصر فى أواخر سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦ م مقدما تقريره عقب عودته إلى مصر متعللاً بأن ماحدث كان نتيجة " تخاذل كتامه " ابن عزارى : البيان المغرب ص ٣١٠ .

(٢) نسبة إلى موطنهم الأصىلى فى بلاد ماوراء النهر - المقرئى : إتعاظ الحنفا - ج١ ص ١٧٠ .

والجدير بالذكر أن الخليفة العزيز بالله لم يستبعد المغاربة تماماً كما هو معروف بل أنه أدرك أن المغرب به مكان عظيم لأجيال مغربية جديدة تنتفع بها الدولة الفاطمية فكان يريد القيام بعملية تجديد للدماء المغربي في القاهرة وبالفعل إنتهز العزيز الفرصة بيقدم أحد الأمراء لتقديم الهدايا السنوية للخليفة الفاطمي وطلب منه الخليفة أن يأخذ رساله مع هذا الأمير من بنى زيرى وليعطيها إلى أمير إفريقية^(١) يأمره فيها بتجهيز الف فارس من أبطال صنهاجه وأن يحضروا معهم نويهم إستعداداً للإستقرار في القاهرة وقد عينهم بالإسم وهم من القادة المشاهير مثال حمام بن مناد - زاوى بن مناد^(٢) وغيرهما .

والحقيقة أن هذا لم يتحقق ولم يصل منهم أحد في ذلك الوقت لكنه تحقق زمن المستنصر الذي أحضر أعدادا كبيرة من المغاربة المصامدة والتي صارت تشكل قوى كبيرة في جيش الفاطميين لأسلوبها المميز في القتال^(٣)، وهذا لم ينهى دور الكتاميين وإنما أوجد نوعاً من التوازن وعدم إستبدادهم بالأمور ويوجه عام ويوجه خاص فإن الوجود المغربي إستمر حتى نهاية الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ فكان لهم عظيم الأثر في إدارة شئون البلاد خاصة القاهرة .

(١) - أمير إفريقية هو أبو الفتح المنصور بن بليكن.

(٢) - ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١١٠ .

(٣) - ابن سعيد : النجوم الزاهرة - ص ٤٧ .

(٤) ابن القلتاسي - ذيل - ص ٨٠١ .